وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة و الجغرافيا ما بين القرنين (4-6هـ/10-12م)

مذكّرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد:
شرف الدين قيدوش
وليـد زدام

إشراف :
الأستاذة
فـهيمـة سعودي

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا ما بين القرنين (4-6هـ/10-12م)

مذكّرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إعداد :
شرف الدين قيدوش
ولـيـد زدام

إشـراف:
الأستاذة
فهيمة سعودي

أعضاء لـجنة المنـاقشـة:

أ. حمزة حاجي رئيسا
أ. فهيمة سعودي مشرفا ومقررا
أ. حمزة عبد الصمد عضوا مناقشـا

السنة الجامعية:1435-1436هـ / 2014-2015م

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين

أهدي هذا العمل إلى من ربتني و أنارت دربي و أعانتني بالصلوات و الدعوات إلى أغلى إنسانة في هذا الوجود

أمـــي الحـبـيـبـة

و إلى من عمل بكد في سبيلي و علمني معنى الكفاح و أوصلني إلى ما أنا عليه

أبي الكريم أدامه لله لي

إلى إخوتي و أخواتي و أسرتي جميعا إلى أصدقائي و زملائي

إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة المدية.

شرف الدين

إهداء

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين.

إلى روح والدتي الطاهرة رحمها الله

إلى أبي الكريم حفظه الله ورعاه

إلى كل من ينبض قلبه لنور العلم

أهدي هذا العمل المتواضع.

وليد

شكر و عرفان

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

سورة الأحقاف،الآية 15.

الحمد و الشكر لله العلي العظيم الذي منّ علينا و سدد خطانا لتحصيل العلم و قدّرنا على إنجاز هذه المذكرة.

في البداية نتقدم بجزيل الشكر و عظيم الإمتنان إلى الأستاذة المحترمة فهيمة سعودي على حسن إشرافها و توجيهها وسعة صدرها وصبرها.

و نتقدم للأستاذ عبد القادر بوعقادة بأسمى عبارات التقدير و الإحترام على مساعدته في إختيار هذا الموضوع.

كما نشكر كل من ساعدنا على إخراج هذا العمل إلى النور.

المقدمة

مـــقـدمـــــة:

يعتبر الإقتصاد عصب الحياة وأساس قيام الدول واستمرارها فهو الموجه الرئيسي لها، وبه تقاس مكانتها، ونظرا للدور المهم الذي لعبه هذا الجانب في تطور المدن وإزدهارها في الفترة الوسيطية بالمغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأوسط منه، تناولنا في هذه الدراسة موضوعا تاريخيا في شقه الإقتصادي لهذه المنطقة في الفترة الممتدة ما بين القرنين (4-6هـ/10-12م) من خلال ما أوردته كتب الرحلة والجغرافيا[1] كمادة مصدرية، وقد صادفت فترة دراستنا ظهور وتطور فن الرحلة في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك ببروز رحالة جغرافيين أبدعوا في تدوين رحلاتهم وتسجيل إنطباعاتهم، إذ اتصفوا بدقة الملاحظة والوصف وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق، فذكروا المدن التي نزلوها والمسافات التي قطعوها، ووصفوا البلدان وزروعها، وصناعاتها، وتجارتها، وقد عرفت مختلف هذه القطاعات الإقتصادية صحوة جادة في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، تطلب منا الرجوع بالبحث والدراسة في هذه الكتب التي تعتبر المصدر الخام والأصلي لهذا الموضوع، لا سيما وأنها تعد من المصادر التاريخية الأكثر عناية بالجانب الإقتصادي.

ويرجع أسباب إختيارنا لهذا الموضوع إلى كون النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط خلال فترة دراستنا لم يحظ حسب علمنا بدراسة مختصة، بالرغم مما كتب من مئات الأبحاث و الدراسات في شتى الجوانب الأخرى، إضافة لرغبتنا الملحة في خوض غمار البحث وإستقاء المعلومات من منبعها الأصلي، خاصة بعد إطلاعنا على بعض الكتب في تلك الفترة وما وجدناه من معلومات غزيرة حول النشاط الإقتصادي تنتظر الإخراج والبحث، وكذلك لكشف الغموض وإزالة العتمة على هذا الموضوع، والمساهمة في إنارة التاريخ الإقتصادي لهذا المجال الجغرافي.

وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في أنه يتطرق للبحث في جزء من تاريخ أمتنا في الفترة الوسيطية، خاصة مع بداية القرن الرابع هجري الذي يمثل الخط الفاصل ما بين خضوع المغرب الأوسط لحكم عربي مشرقي فاطمي إلى ملك البربر لبلادهم، إضافة إلى توفر كتب الرحلة على معلومات تاريخية إقتصادية غير موجودة في بعض المصادر الأخرى.

---

[1]- عن الرحالة و الجغرافيين أنظر: علي عبد الله الدفاع، **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية**، ط2، مكتبة التوبة للنشر، السعودية 1993.

وقصد التعرف على حيثيات موضوع البحث أكثر إرتأينا طرح الإشكالية التالية: **ما هي الصورة التي قدمتها كتب الرحلة و الجغرافيا عن الحياة الإقتصادية للمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/10-12م)؟** ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكن طرح عدة تساؤلات: ما هي العوامل المساعدة للنشاط الزراعي والعوامل المؤثرة عليه؟ وما هي أهم المحاصيل الزراعية؟ وإلى أي مدى ساهمت العوامل المساعدة للنشاط الصناعي في تطور هذا المجال؟ وما هي أهم الطرق والمراكز التجارية؟ وما طبيعة السلع المتبادلة داخليا وخارجيا؟ وما هي أنواع الأسواق وكيف كانت طرق التعامل التجاري فيها؟.

وعلى حد علمنا لم نجد من تطرق لمثل هذا الموضوع وبالأخص من خلال كتب الرحلة والجغرافيا خلال فترة دراستنا، وعليه فنحسب أن هذا الموضوع من المواضيع الجديدة التي لم تنل ما تستحقه من البحث والدراسة، ما عدا رسالة دكتوراء لجودت عبد الكريم يوسف بعنوان الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، ومذكرة تطرقت لجانب منه لعبد العزيز رشيد لنيل شهادة ماجستير بعنوان زراعة الحبوب في المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، جامعة الجزائر2، 2012-2013م.

ومنهج الدراسة في هذا البحث هو المنهج التاريخي الذي يقوم على وصف الأحداث التاريخية كما هي قائمة، وهو منهج لا يمكن الإستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وقد اعتمدنا عليه في تغطية ورصد الأحوال الإقتصادية بصفة خاصة، من خلال إستقاء المادة العلمية من كتابات و مشاهدات الرحالة وإستقراء وإستنباط ملاحظاتهم وإتباعها بمجموعة من الإستنتاجات للوقوف على أهم جزئيات الدراسة وحيثيات المشهد الإقتصادي العام للمغرب الأوسط.

وانطلاقا من المعلومات التي تمكنا من جمعها ومن منهج الدراسة، فإن الخطة التي إتبعناها في بحثنا هي تقسيمه إلى مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاث مباحث أساسية وخاتمة.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع والأسباب الكامنة وراء إختياره، وأهمية الموضوع وطرح بعض الإشكاليات الأساسية المراد الإجابة عنها خلال هذه الدراسة، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لهذا الموضوع، والمنهج والخطة المتبعة لذلك، ثم عرض لأهم المصادر التي إعتمدنا عليها والصعوبات التي واجهتنا.

أما المبحث التمهيدي فيعد مدخلا للمباحث التي تليه، وتضمن جغرافية المغرب الأوسط التي كانت حدودها من الصعب ضبطها، والعناصر السكانية التي إستوطنته، مرورا بالدويلات التي حكمت المنطقة آنذاك، وخصصنا المبحث الأول للنشاط الزراعي والعوامل المساعدة له وأهم المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية، إضافة إلى العوامل المؤثرة و المعيقة لهذا النشاط، أما المبحث الثاني فقد سلطنا الضوء فيه على الواقع الصناعي، واشتمل على أبرز العوامل المساعدة لتطويره كوفرة المعادن واتساع العمران و قلة الضرائب، وعرجنا فيه على أهم الصناعات كصناعة السفن والمنسوجات والخزف، أما المبحث الثالث فقد أفردناه للحديث عن التجارة و تناولنا فيه أهم الطرق و المراكز التجارية، إضافة إلى المبادلات التجارية الداخلية و الخارجية، ثم تطرقنا للحديث عن الأسواق وأنواعها وإلى النظم التجارية المتعامل بها، وأنهينا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها النتائج المتوصل إليها، وألحقنا بعد ذلك المذكرة بمجموعة من الملاحق نرى أنها تثري الموضوع، وختمنا كل ذلك بفهارس البحث.

واعتمدنا في إنجاز هذه المذكرة على عدد من كتب الرحالة والجغرافيين الذين زاروا المغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/10-12م) إضافة إلى مصادر أخرى ومراجع عززنا بها بحثنا.

ومن بين كتب الرحلة والجغرافيا كتاب صورة الأرض لإبن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م) ويعتبر أقدم رحلة نمتلكها اليوم عن بلاد المغرب الإسلامي، فقد كان واحدا من التجار المثقفين الذين إتخذوا من التجارة وسيلة للسفر والتنقل دون جلب الأنظار، لأنه يشك في أنه أحد العيون الفاطمية وامتاز منهجه بأنه إعتمد على معرفته الشخصية المكتسبة من أسفاره ومشاهداته، لذا ظهر نتاجه في هذا المجال متكاملا وخاصة فيما يخص بلاد المغرب الأوسط، من حيث ذكره لطبيعة الأرض والمحاصيل الزراعية والثروات الطبيعية والصناعات، ووصفه للطرق التجارية بصورة تفصيلية وكذلك المراكز الواقعة على طول هذه الطرق، كما قدم دراسة علمية حول المسافات بين المدن.

وكتاب المسالك و الممالك لأبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م)، الذي كتبه دون أن يزور بلاد المغرب معتمدا على كتاب المسالك و الممالك ليوسف بن الوراق (ت363هـ/973م) لكن رغم ذلك فإن معلوماته في غاية الأهمية خاصة فيما يخص بلاد المغرب الأوسط، ويعتبر البكري أول من إستعمل هذا المصطلح بعد توضيحه لحدوده ومعالمه، فضلا على ما ذكره عن أوضاعه الإقتصادية بذكر ثرواته الباطنية ومحاصيله الزراعية ومصنوعاته المتنوعة، ناهيك عن وصفه للطرق التجارية وذكره

لجل مراسيه، وذكر السلع المتبادلة ووسائل التعامل التجاري، وهي معلومات دوناها في المبحث الثالث.

كما إستعنا بكتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق لأبي عبد الله الادريسي (ت560هـ/1164م) ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الجغرافية إعتمادا في بحثنا، وهذا لأن مؤلفه كان معاصرا لفترة الدراسة، فيعد كتابه خير معين لدراسة الجوانب الإقتصادية المختلفة سواء الزراعية منها أو الصناعية أو التجارية نظرا للمعلومات القيمة التي يحويها هذا الكتاب المتميز عن كتابات سابقيه، لذلك كان إعتمادنا عليه في معظم أجزاء المذكرة.

إضافة إلى كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول عاش في القرن (6هـ/12م) وتكمن أهميته في ذكره للمنتوجات الزراعية، والثروة الحيوانية والمعادن وأماكن إنتاجها وتواجدها في سائر مدن المغرب الأوسط، والوجهات التي تصدر منها وتورد إليها، غير أنه لم يتطرق للطرق التجارية بشكل واسع.

وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، يتكون من خمسة أجزاء ألفبائي وهو كتاب في علم الجغرافيا، ومعجم زاخر بالمعارف لا يمكن لأي باحث في هذا المجال الاستغناء عنه وقد إستفدنا منه في التعريف بمدن المغرب الأوسط وضبط أسمائها، ورغم أن روايات ياقوت الحموي إعتمدت في بعض النصوص على ما جاء في كتابات البكري وآخرون، غير أن هذا لا ينقص من قيمتها حيث تعد من المصادر الأساسية.

كما أفادتنا كتب التاريخ العام في سد بعض الثغرات في النواحي الإقتصادية نذكر منها: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لمؤلفه إبن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 732هـ/1332م)، وقد إستفدنا منه في ذكر بعض مظاهر الآفات الاقتصادية كالكوارث والأزمات الطبيعية، والمجاعات والأوبئة التي مست هذا المجال الجغرافي الواسع.

وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لصاحبه إبن أبي زرع (كان حيا سنة 726هـ/1326م)، وقد إستفدنا منه في مواضيع مختلفة من البحث خاصة أن إبن أبي زرع شغوف بالإشارة للمظاهر الإقتصادية، حيث ذكر المجاعات والأوبئة التي حدثت بالمغرب ككل، إلا أنه أفادنا على أساس أن هذه الآفات قد وقعت بالمغرب الأوسط أيضا، وذكر أهم أسبابها ومظاهرها.

كما إعتمدنا على كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وكتاب مقدمة ابن خلدون لمؤلفهما عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م) وقد إستفدنا من الأول في ذكر الواقع القبلي والمراحل التاريخية وأثر الهجرة الهلالية على المغرب الأوسط، أما المقدمة فقد إستعنا بها كثيرا، لما فيها من تحليل للنواحي الإقتصادية نذكر منها ضرورة التلازم بين قلة الضرائب و إتساع العمران لتطوير الصناعة، إضافة لإستخلاصنا منها أهم مسكوكات المغرب الأوسط خلال فترة دراستنا.

أما عن كتب الطبقات والتراجم فإستعنا بكتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لمؤلفه ابن خلكان (ت681هـ/1282م)، وقد أفادنا في تقديم تراجم وافية لأهم الشخصيات السياسية إضافة لكتاب الوافي بالوفيات لصاحبه صلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت764هـ/1363م) الذي لا يقل أهمية عن سابقه.

ومن أهم المراجع التي أثرت موضوعنا كتاب النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن(6هـ/12م) لعز الدين أحمد موسى ويتعرض الكتاب لدراسة مفصلة للمغرب ككل بما فيه الأندلس، إلا أننا وجدنا فيه معلومات تخص الواقع الإقتصادي للمغرب الأوسط.

كما إستفدنا من كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها لرشيد بورويبة، وبالرغم من أنه شمل جميع الجوانب الحضارية، إلا أنه خصص الفصل الثاني للحياة الإقتصادية بجميع جوانبها.

وإلى جانب هذه المصادر والمراجع السالفة الذكر، إعتمدنا على مصادر ومراجع وبحوث أخرى لتغطية النقص الموجود لا يسعنا المقام هنا لذكرها وهي مثبتة في القسم الخاص بها.

وقد واجهتنا صعوبات علمية ومنهجية كثيرة أثناء قيامنا بإنجاز هذا البحث، تتمثل في طبيعة الموضوع بحيث أن المواضيع الإقتصادية خلال المرحلة المدروسة تضل نادرة، وكان البحث من خلال كتب الرحلة والجغرافيا صعب للغاية بسبب تناثر المعلومات فيها، وصعوبة أسلوبها الأدبي القائم على الصنعة اللفظية والمحسنات البديعية والمصطلحات البليغة لطبيعة لغة العصر الوسيط، إضافة إلى صعوبة التحكم في هذه الدراسة بفضاء جغرافي واسع كفضاء المغرب الأوسط، وضيق الوقت وتزامن بحثنا مع إلتزامات أخرى، وفي الختام نرجوا أن نكون قد وُفقنا في الإلمام بالنشاط الإقتصادي للمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.

المبحث التمهيدي: لمحة تاريخية عن بلاد المغرب الأوسط

أولا:

جغرافية المغرب الأوسط

ثانيا:

العناصرالسكانية والدول المتعاقبة على المنطقة

أولا: جـــغـــرافـــيـــة الـــمـــغـــرب الأوســـــط

أ/ الـمـغـرب لـــغـــة وإ صـطـلاحـــا:

المغرب عكس المشرق[1]، ويعرفه ابن خلدون(ت 808هـ/1406م) بقوله:«... **المغرب في أصل وضعه إسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق، ومشرق بإضافته إلى جهة المغرب، لأن العرف قد يخصص هذه الأسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة...**»[2].

إختلف الرحالة والجغرافيين حول حدود بلاد المغرب فيرى اليعقوبي (ت284هـ/897م) أن حدوده من مصر إلى برقة وأقصي المغرب[3]، ويقسم الإصطخري (ت 340هـ/951م) أرض المغرب إلى نصفان شرقي يشمل برقة وتاهرت وإفريقية وطنجة والسوس وزويلة، أما الغربي فهو الأندلس[4]، أما ابن حوقل (ت367هـ/977م) فقسمه إلى قسمان غربي وشرقي وكلاهما عامران، فالغربي من مصر إلى طنجة، أما الشرقي فهو بلد الروم[5]، ويرى المقدسي (ت378هـ/988م) بأن المغرب «...**إقليم بهي وبه جزائر عدة مثل الأندلس الفاضلة العجيبة، وتاهرت الطيبة النزيهة وطنجة البلدة البعيدة وسجلماسة المختارة الفريدة، وصقلية الجزيرة المفيدة...** »[6]

وقد ُقسم المغرب إلى أدنى وأوسط وأقصى، فالأدنى هو ما بين برقة شرقا إلى بجاية غربا والأوسط هو من بجاية شرقا إلى واد ملوية غربا، والأقصى ما بين واد ملوية شرقا والبحر المحيط غربا[7].

ب/ مـجـالـه وحـدوده في الـكـتـابـات الـجـغـرافـيـة والـتـاريـخـيـة:

مثلما إختلف الرحالة والجغرافيين حول حدود بلاد المغرب إختلفوا كذلك حول حدود بلاد المغرب الأوسط، مع العلم أنه من خلال بحثنا في المصادر وجدنا أن مصطلح المغرب الأوسط

---

[1]- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج 5،(دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان،1977،ص161.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح :سهيل زكار،ج6 (دط)، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص128.

[3]- أحمد ابن أبي إسحاق اليعقوبي، **البلدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، (دط)، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (دت)، ص180.

[4]- أبو إسحاق ابن محمد الفارسي الكرخي الإصطخري، **المسالك والممالك**،(دط)، مطبعة بريل للنشر، ليدن، 1870، ص 36.

[5]- أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**،(دط)، دار مكتبة الحياة للنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص65.

[6]- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، مصر، 1991، ص311.

[7]- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، (دط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1964، ص46.

لم يكن موجودا قبل القرن (5هـ/11م)، وأول من إستعمل هذا المصطلح البكري (ت 487هـ/1094م) حين جعل تلمسان قاعدته وأشار إلى أن هذه الأخيرة تسكنها قبيلة زناتة[1]، والراجح أن البكري قد حدد هذا المجال من خلال تمركز العنصر القبلي.

غير أن الإدريسي(ت560هـ/1164م) قد جعل قاعدته بجاية حيث يقول أن مدينة بجاية في وقته «...**مدينة المغرب الأوسط وعينُ بني حماد...**»، وذكر بعض مدن المغرب الأوسط مثل باغاية وجزائر بني مزغناي وقسنطينة وغيرها[2]، وإذا تمعنا قوله نجده أنه إعتمد في توضيح الحدود على المعيار السياسي.

أما صاحب كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (ت ق 6هـ/12م) فذكر أن المغرب الأوسط قاعدته تلمسان، وحدُه يبدأ من هذه الأخيرة بإتجاه المدن الساحلية مثل وهران ومليلة إلى مدينة تنزل[3] وهي مدينة في أول الصحراء[4]، ويرى أبو الفداء (ت732هـ/1331م) أن المغرب ينقسم إلى ثلاث قطع، وأدرج المغرب الأوسط ضمن القطعة الثانية وأوضح حدوده بأنه من وهران إلى شرق بجاية[5].

ويري إبن خلدون أن المغرب الأوسط قاعدته تلمسان وفي سواحله مدينة هنين ووهران والجزائر ومن الشرق بجاية وقسنطينة، ومرتفعا إلى الجنوب بلد آشير ثم المسيلة ثم بسكرة[6]، فنظرة ابن خلدون أكثر شمولية وأكثر دقة وتفصيلا لهذه المنطقة، حيث إعتمد على الأسس القبلية في التقسيم، ومن جهة أخرى وقع تحت تأثير العامل السياسي الذي تشكله مدينة تلمسان[7].

---

[1]- أبو عبيد الله بن عبد العزيز محمد البكري، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة،ج2،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 ص259.

[2]- أبي عبد الله محمد بن إدريس الحسني الإدريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، تح: روبانتشي وآخرون، مج 1، (دط)، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر، 2002، ص 265.

[3]- الراجح أنها تنزرت بالكسر ثم السكون وسكون النون وفتح الزاي وراء وتاء، وهي مدينة في جنوبي المغرب قريبة من بلاد الملثمين، ياقوت الحموي المصدر السابق، مج2، ص69.

[4]- مجهول، **الإستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب"**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، (دط)، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، بغداد، العراق، (د ت)، ص176.

[5]- عماد الدين بن محمد أبو الفداء، **تقويم البلدان**، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان،(دط)، دار الطباعة السلطانية للنشر، باريس فرنسا،1840، ص122.

[6]- عبد الرحمان بن خلدون، **مقدمة بن خلدون**، تح: حامد أحمد الطاهر، ط2، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر،2010، ص87.

[7]- الطاهر طويل، **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط**، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية للنشر، تلمسان، الجزائر 2011، ص35.

غير أننا نجد أن بعض الجغرافيين قد أدرجوا بعض مدن المغرب الأوسط ضمن المجال الجغرافي للمغرب الأقصى أو إلى إفريقية، إذ نجد الزهري (ت ق6هـ/12م) قد أدرج مليانة وزواوة وقسنطينة إلى إفريقية، في حين ضم تلمسان إلى المغرب الأقصى[1]، أما العمري (ت749هـ/1348م) فأدرج بونة والقل وجيجل وبجاية ضمن مدن إفريقية[2].

كان الإختلاف واضحا في ضبط الحدود خاصة وأن الحدود في تلك العهود لم تكن أسلاكا شائكة كما هي اليوم بل هي وهمية يحدد معالمها نفوذ الدولة[3].

ثانيا: العناصر السكانية والدول المتعاقبة على المنطقة

أ/ العناصر السكانية:

إن سُنة الله في خلقه وحكمته سبحانه وتعالى أن جعل البشرية شعوبا وقبائل متعددة لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾**[4].

لقد منّ الله على مجتمع المغرب الأوسط أن جعله ذو تركيبة بشرية متعددة، كان لها دور بارز في حركة النشاط الإقتصادي، وحتى يتسنى لنا دراسة هذا الأخير وجب علينا تسليط الضوء على الواقع القبلي، ومواطن إستقرار البربر وتحديد تحركاتهم وذلك لإبراز دورهم في الحياة الإقتصادية.

والبربر صنفان، صنفٌ يقال لهم البتر، وصنفٌ يقال لهم البرانس[5]، و قد تفرعا إلى عدة قبائل أهمها قبيلة صنهاجة[6]، التي كانت تمثل ثلث سكان المغرب الأوسط، وكانت تتمركز في كل من

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **الجعرافية و ما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ما في كل جزء من الغرائب و العجائب تحتوي على الأقاليم السبعة و ما في الأرض من الأميال و الفراسخ**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 106 وما بعدها.

[2]- شهاب الدين ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص65.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال (ق 3-4هـ/9-10م)**، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر، (د ت)، ص5.

[4]- سورة الحجرات، الآية 13.

[5]- الإصطخري، المصدر السابق، ص44.

[6]- من أوفر قبائل البربر لا يكاد قطر من أقطاره يخلوا من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، ويرجع نسبهم إلى ولد صنهاج، ابن خلدون، العبر المصدر السابق، ج6، ص201.

سطيف والشلف وجبال المسيلة والتيطري والونشريس، ونجدهم كذلك في السهول حيث يتوفر لديهم في فصل الشتاء ما تحتاج إليه مواشيهم[1]،كما نجد كتامة[2] هي الأخرى بجميع بطونها وفروعها كانت تقطن الساحل البحري من بونة إلى بجاية وتتقدم إلى حدود جبال الأوراس[3]، كما كانت أوطانهم كذلك بناحية سطيف[4].

ومن قبائل المغرب الأوسط أيضا أزداجة ووزداجة[5]،حيث كانت كلتاهما تسكن وهران[6]، ونجد أيضا زناتة[7]، وهي قبيلة بدوية أكثرها تجمعا وأشهرها قوة وأشدها منافسة في السيادة والنفوذ[4]، وكانت مستقرة بتلمسان[8]، وبنواحي تيهرت[9]، وذكر ابن خلدون أن هذه القبيلة تسكن بجميع ديار المغرب الأوسط[10]، كما كانت عجيسة[11] هي الأخرى من قبائل البرانس العظمى، وكان موطنها بجبال المسيلة، وصارت فيما بعد قلعة عجيسة حاظرة آل حماد[12].

هذه هي أهم القبائل التي إستوطنت في المغرب الأوسط غير أن هذا التمركز لم يكن ثابت وذلك راجع لتنقل تلك القبائل من منطقة لمنطقة نتيجة للأوضاع السائدة في تلك الفترة.

ب/ الدول المتعاقبة على المنطقة:

لا شك في أن الأحداث التاريخية والصراعات السياسية التى عاشها المغرب الأوسط إنعكست بصفة مباشرة عليه مما أدى إلى تعاقب عدة دويلات.

---

[1]- محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010 ،ص17.

[2]- من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة و أطولهم باعا في الملك، من ولدكتام بن برنس، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص195.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص101.

[4]- الإصطخري، المصدر السابق، ص44.

[5]- إزداجة من زناتة ووزداجة من هوارة، وهما بطنان مفترقان، وكان لهما وفور وكثرة وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط، وكان لهم إعتزاز في الفتن والحروب، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص199.

[6]- عبد الله محمد جمال الدين، **الدولة الفاطمية "قيامها ببلاد المغرب وإنتقالها إلى مصر"**،(دط)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر،1991 ص 18.

[7]- يرجع نسبها إلى ولد جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن مادغيش بن بربر، قيل إنهم من حمير، و شعوبهم و بطونهم كثيرة، ابن خلدون، العبر ج7، ص3.

[8]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص17.

[9]- مجهول، المصدر السابق، ص176 .

[10]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص134.

[11]- من بطون البرانس، من ولد عجيسة بن برنس، و مدلول هذا الإسم البطن لأن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة، و كان لهم من البربر كثرة و ظهور، ابن خلدون، العبر، ج6، ص192.

[12]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص192.

1- الـدولــة الـفـاطـمـيــة: [297 -365هـ/909-975م]

تعتبر الدولة الفاطمية أُولى الدول التي امتد سلطانها لهذه المنطقة خلال فترة دراستنا، وكان لقبيلة كتامة دور كبير في تأسيسها، و ذلك أنه لما وصل إليها أبو عبد الله الشيعي[1] جعل يأخذ بقلوب أهلها ويستميلهم إليه حتى إنقادوا إليه[2]، حينئذ بعث إلى الإمام عبيد الله المهدي[3] يدعوه للقدوم إلى إلى بلاد المغرب[4]،ولما قدم وإستقامت له الأمور وباشر الأمور بنفسه قتله سنة (298هـ/910م)[5] وبقدوم المهدي تغيرت الصورة السياسية لبلاد المغرب، حيث زال ملك بني رستم من تاهرت[6]، بعد أن حكموها مائة وستون سنة فملك المهدي و أتباعه بعدهم جميع ذلك[7]، و إستولوا على المغرب كله[8]، ولم يستقم الأمر لهم لمدة طويلة، وإضطروا للرحيل عن البلاد فاسحين المجال للزيريين الذين حكموا المنطقة بإسمهم إلى غاية الإنفصال الزيري الحمادي.

2/ الـدولــة الـحـمـاديــة: [398-547هـ/1007-1153م]

تعتبر ثاني دولة إسلامية مستقلة في المغرب الأوسط، تأسست حسب الإتفاق الحمادي الزيري فأصبح حماد[9] أميرا مستقلا وهذا إبتداءا من (408هـ/1018م)[10] ، فأقام عاصمته الجديدة شمال

---

[1]- هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالشيعي من أهل صنعاء باليمن، دخل إفريقية وحيدا بلا مال، و لم يزل يسعى إلى أن ملكها، و توفي سنة (298هـ/911م) بمدينة رقادة، إبن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج 2، (دط)، دار صادر للنشر، بيروت لبنان، (د ت)، ص192.

[2]- الزهري، المصدر السابق، ص110.

[3]- هو أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي، ولد سنة (260هـ /874م) بمدينة سلامة، ودعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان سنة (297هـ/910م)، وكانت وفاته بالمهدية سنة (322هـ/934م)، ابن خلكان، المصدر السابق،ج3، ص117، أنظر أيضا: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، ج19، ط1، دار إحياء التراث للنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص243.

[4]- القاضي النعمان، **إفتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للنشر، تونس، 1988، ص247.

[5]- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج6، (دط)، دار الكتب العلمية للنشر بيروت، لبنان، 1987، ص463.

[6]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء**، تح: جمال الدين الشيال، ج1، ط2، مطابع الأهرام للنشر، القاهرة مصر 1996،ص60.

[7]- إبن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص462.

[8]- ابن خلدون، المقدمة، ص368.

[9]- هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، صاحب قلعة بني حماد، قرأ الفقه في القيروان، و عاش مع أبيه وأخيه المنصور بن بلكين وخلفه إبنه باديس، وتولى أعماله عمه حماد في القيروان، وكانت وفاته سنة (419هـ/1029م)، خير الدين الـزركلي، **الأعـلام**،ج2، ط15، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 2002، ص271.

[10]- رشيد بورويـبـة، **الدولة الحـمـاديــة تـاريخـها و حـضـارتـها**، (دط)، ديوان المطبـوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص34.

المسيلة على آخر حواضر جبل تاقربوست، وقبل أن تسمى قلعة حماد كانت تسمى قلعة بني طويل[1].

إمتدت المملكة غربا إلى وهران وتلمسان، وشرقا حتى شملت تونس والقيروان، وجنوبا إلى الزاب وورقلة[2]، وكانت عاصمتها الثانية بجاية ويعتبر الناصر بن علناس[3] أول من إختطها في حدود سنة (457هـ/1065م) وتسمى الناصرية نسبة إليه[4]، وتمثل الفترة الحمادية عودة البربر لحكم بلادهم وإخراج هذه المنطقة من عزلتها[5]، وقد سقطت الدولة عند دخول جيوش الموحديين إلى بجاية سنة (547هـ/1152م)، وكان هذا الدخول إعلانا بسقوطها وإبعادها عن حكم المنطقة [6].

3/ الدولة المرابطية: [448-541هـ/1056-1147م]

من بين الكيانات السياسية التي إمتد سلطانها إلى بلاد المغرب الأوسط دولة المرابطين وقد أطلق عليها المؤرخون إسم دولة الملثمين[7]، و من أبرز قادتها يوسف بن تاشفين[8] الذي برز على الساحة سنة (448هـ/1056م)[9] ، فإختط مدينة مراكش بالمغرب الأقصى سنة (454هـ/1062م)، ثم توجه بعساكره المرابطين إلى بلاد المغرب الأوسط، وإفتتح مدينة تلمسان وإختط بها تاكرارت، ثم إفتتح مدينة تنس ووهران وجبل الونشريس إلى الجزائر[10].

---

[1]- الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص99.

[2]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص234 وما بعدها.

[3]- هو الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي، أحد ملوك الدولة الحمادية وباني مدينة بجاية التى توفي بها سنة (481هـ/1088م)، ابن خلكان المصدر السابق، ج7،ص349.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1،ص 339.

[5]- علاوة عمارة، **الحكم والإقتصاد و المجتمع في المغرب الحمادي** ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 4، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004، ص276.

[6]- عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد "صفحة رائعة من التاريخ الجزائري"**، ط2، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، 1991، ص193.

[7]- سُموا بذلك لأنهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، و قيل سبب ذلك لشدة الحر، و قيل للتنكر أثناء الحروب، ابن خلكان، المصدر السابق مج 7، ص 129.

[8]- هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين وملك الملثمين كان صاحب موقعة الزلاقة(479هـ/1086م) توفي سنة (500هـ/1106م)، عاش 90 سنة ملك منها مدة 50 سنة، ابن خلكان، المصدر السابق، مج7، ص 129، أنظر أيضا: الصفدي، المصدر السابق ج 29، ص 74؛ الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص222.

[9]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، (دط)، دار المعرفة الجامعية للنشر الإسكندرية، مصر، 1997، ص 43.

[10]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

و بلغت فتوحاتهم أوج إتساعها في أقصى نقطة إلى غاية شمال الأندلس[1]، كما إستولوا على بلاد كثيرة بالمغرب، فنشروا الدين بها وأظهروا كلمة الحق[2].

4/ الـدولـة الـمـوحـديـة: [541-665هـ/1143-1266م]

أثمرت الثورة السياسة التي قام بها المهدي إبن تومرت[3]قيام دولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين وقد عمرت قرنا من الزمان،وبلغت من القوة والعظمة مبلغا عظيما جعلها من أقوى وأعظم الدول في التاريخ الإسلامي، بلغ عدد خلفائها ثلاثة عشر خليفة[4].

وأشهرهم عبد المؤمن بن علي[5]،الذي بُويع سنة (524هـ- 1130م)وقد أُختير لشجاعته وزعامته[6] ودخل المغرب الأوسط بالقوة وقتل فيها ما لا يحصي بدءا من وهران ثم سار إلى تلمسان، وفي سنة (547هـ/1153م) اتجه إلى بجاية وملكها واستولى على جميع مماليك بني حماد[7]، كما تغلب على مليانة والجزائر ونزل إلى بجاية ثم سطيف، وهكذا تغلب على جميع بلاد المغرب قبل أن تتطلع أنظاره إلى جميع جزيرة الأندلس[8]، وقد دخلت دولته في عهد الإزدهار فإتسمت بالتوسع و العمران والرخاء المادي والنهوض الفكري.

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب و الأندلس في عهد المرابطين**، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص16.

[2]- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، **البداية و النهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج5، ط1، دار هجر للطباعة و النشر، الرياض 1989، ص738.

[3]- هو أبو عبد الله محمد بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي، ولد سنة (485هـ/1092م)، نشأ في المغرب ثم إرتحل إلى المشرق وإجتمع بأبو حامد حامد الغزالي و الطرطوشي، ولما رجع إلى وطنه بدأ بنشر دعوته حتى جهز جيش قوي فنزل مراكش لمنازلة المرابطين توفي سنة (524 هـ/1130م)، ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص45 وما بعدها، أنظر أيضا: الزركلي، المصدر السابق،ج6، ص230.

[4]- مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،ط1، موسوعة الرسالة للنشر، بيروت، لبنان، 1996، ص114.

[5]- هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ولد سنة (500هـ/1106م)، ملك الجيوش التي جهزها المهدي وإمتد ملكه للمغرب الأقصى والأدنى و بلاد إفريقية والأندلس و توفي سنة (558هـ/1163م)، ابن خلكان، المصدر السابق، مج 3، ص237.

[6]- علي محمد الصلابي، **تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين**، ط3، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص253.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص372.

[8]- أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني، **رحلة التجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (دط)، الدار العربية للكتاب والنشر، تونس 1981،ص343.

المبحث الأول: الـــزراعـــة

أولا:

العوامل المساعدة على النشاط الزراعي

ثانيا:

المحاصيل الزراعية و الثروة الحيوانية

ثالثا:

العوامل المؤثرة على الإنتاج الزراعي

الـــــزراعـــــة:

لقد حثّ الإسلام على ممارسة النشاط الزراعي لقوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾**[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ما مِن مُسلمٍ يَغرسُ غَرْسًا، أو يَزرَعُ زرعًا، فيأكُلُ منه طَيرٌ أو إنسانٌ أو بَهيمةٌ إلاّ كانَ لهُ بهِ صَدَقة** »[2].

يُعرف إبن منظور الزراعة بقوله: «...**الزراعة بفتح الزاي وتشديد الراء، قيل هي الأرض التي تزرع، والزرع نبات كل شيء يحرث...**»[3]، أما حسب تعبير إبن خلدون فإنه لا يقف عند حد عملية الزرع والغرس بل يتجاوزها إلى تربية الحيوان والصيد وإنتاج العسل والحرير، كل ذلك يدخل في مفهوم النشاط الزراعي أو الفلاحي[4]، وقد كان سكان المغرب الأوسط على دراية كبيرة بالزراعة التي مارسوها لتوفر عدة عوامل :

أولا: العوامل المساعدة على النشاط الزراعي

أ/ خصوبة التربة: ساعدت طبيعة المغرب الأوسط على مزاولة النشاط الزراعي فهي معروفة بخصوبة تربتها وتنوعها، بحيث تُلائم مختلف المزروعات فكان بجبل الأوراس مراعي كثيرة[5]، وذلك لأنه جبل خصيب[6]، وكان لمدينة الغدير[7] أرض مباركة صالحة للحرث[8]، ولها فحص[9]مديد كثير الزرع والضرع[10].

---

[1]- سورة الواقعة، الآية 63، 65.

[2]- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه، رقم 2320، ط1، دار ابن كثير للنشر، بيروت لبنان، 2002، ص558.

[3]- أبي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، **لسان العرب**، مج 8،(دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ص141.

[4]- شوقي أحمد دنيا، **ابن خلدون مؤسس علم الإقتصاد**، (دط)، دار معاذ للنشر والتوزيع ، جامعة أم القرى، السعودية، 1993، ص41.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[6]- مجهول، المصدر السابق، ص 164.

[7]- بلد أو قرية على نصف يوم من قلعة بني حماد بالمغرب، ينسب إليها أبو عبد الله الغديري المؤدب أحد العباد ، الغدير من مياه الضباب على ثلاث ليالي من حمى ضرية من جهة الجنوب ،ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص188.

[8]- الإدريسي، المصدر السابق، ص164.

[9]- هو ما استوى من الأرض و الجمع فحوص، ابن منظور، المصدر السابق، مج 7، ص63.

[10]- مجهول، المصدر السابق، ص167.

وكانت مدينة مازونة[1] من أحسن البلاد خصوبة[2]، وأغلب أراضيها المزروعة جيدة[3]، وكانت قسنطينة[4] ذات تربة خصبة صالحة للزراعة، والزرع بها وفير ولها بساتين كثيرة[5]، وهي على جبل عالٍ كثير الخصب والأجنة والبساتين[6]، ودليل خصوبة أراضيها أنه كان يبلغ إنتاجها ضعف ما يزرع فيها[7].

وعُرفت عدة مدن بخصوبة تربتها منها مدينة ميلة[8] التي كانت «...**كثيرة الخصب...و لها جبل هو أخصب جبل إفريقية**...»، وكانت مدينة المسيلة[9] على أرض منبسطة، وبمدينة تاهودة «...**رياض[10] كبيرة ولها أرباض[11] كثيرة يدور بجميعها خندق**...»، وكانت بادس منبسطة الأرض كثيرة المزارع والبساتين، كما سُميت مدينة الخضراء بهذا الإسم لكثرة بساتينها[12].

---

[1]- مدينة أزلية بناها الرومان على بعد أربعين ميل من البحر ،كانت متحضرة في القديم لكنها كثيرا ما تعرضت من طرف ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى ، الحسن الوزان ، **وصف إفريقيا**،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر ، بيروت ، لبنان 1983، ص36، أنظر أيضا: مرمول كربخال ، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حاجي و آخرون ،ج2 ، دار المعرفة للنشر، الرباط، المغرب ،1988، ص359.

[2]- الإدريسي ، المصدر السابق، ص 272.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 36.

[4]- بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر طاء وياء مثناة، مدنية وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، و هي مدينة أزلية كبيرة آهلة ذات حصانة ياقوت الحموي المصدر السابق، مج 4، ص349، أنظر أيضا: أبي الحسن على بن أبي بكر الهروي، **الإشارات الى معرفة الزيارات**، تح: علي عمر،ط1، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر 2002، ص52؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص56.

[5]- مجهول، المصدر السابق، ص165.

[6]- عبد الباسط الظاهري، **رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس**، مخطوط حققته عمر عبد السلام تدمري، الجامعة اللبنانية طرابلس، (د ت)، ص38.

[7]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص85.

[8]- بالكسر ثم السكون ولام، مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وهي من أجمل مدن الزاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص244، أنظر أيضا: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص60.

[9]- بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة ولام، مدينة بالمغرب تسمى المحمدية إختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة (315هـ/927م)، ياقوت الحموي المصدر السابق، مج 5، ص130، أنظر أيضا: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص52.

[10]- الأرض ذات الخضرة و الروضة البستان الحسن، و الروضة الموضع يجتمع إليه الماء يكثر نباته، إبن منظور، المصدر السابق ، مج 7، ص162.

[11]- الربض ما حول المدينة و قيل هو الفضاء حول المدينة، ابن المنظور، المصدر السابق، مج 7، ص152.

[12]- مجهول، المصدر السابق، ص166 و ما بعدها.

ولم تكن تاهرت[1]، المعروفة بعراق المغرب[2]، أقل خصوبة من المدن السالفة الذكر حيث أشار صاحب كتاب الإستبصار أن«...**في صحاري بلادهم جبل عظيم يعرف بقلقل وهو كثير الخصب...وبالقرب من تلك البلاد أرض فجيج وهي بلاد خصبة...**»[3].

كما كانت ورجلان[4] مدينة خصبة التربة كثيرة الزروع[5]، وكان لمدينة ندرومة[6]«...**بسائط خصيبة ومزارع كثيرة...**» [7]، وبغربها وشمالها بسائط ومزارع طيبة[8]، وكان يتصل بمدينة جزائر بني مزغناي[9] فحص متيجة الذي كان كثير الخصب[10]، والذي يبلغ طوله حوالي 45 ميل[11]، وعرضه 36 ميل[12]، بالإضافة إلى توفرها على عدة أراضي فلاحية خصبة وسهول واسعة[13]، وكانت مدينة مليانة[14]،المعروفة بالبلدة الخصيبة[15]،ذات مسارح خصبة ساعدت على تنوع المزروعات[16]، إذ يوجد

---

[1]- بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان، إسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة، وكان صاحب تاهرت عبد الرحمان بن رستم ،ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج 2، ص8، أنظر أيضا: أبي بكر محمد إبن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان** (دط)،مطبعة بريل، ليدن، 1885،ص80.

[2]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

[3]- مجهول، المصدر السابق، ص178.

[4]- بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون، كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل و الخيرات يسكنها قوم من البربر ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق، مج 5، ص370.

[5]- مجهول، المصدر السابق، ص224.

[6]- أسس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، و بنوها على بقعة واسعة في سهل بعيدة نحو ميلين من الجبل إسمها مشتق من كلمة ند في لغة الأفارقة التي لها نفس المدلول في كلمة similis التي تعني مثيل ، الحسن الوزان ،المصدر السابق ص13، أنظر أيضا: مرمول كربخال ،المصدر السابق، ص295.

[7]- مجهول، المصدر السابق، ص135.

[8]- البكري ، المصدر السابق، ص263.

[9]- الجزائر جمع جزيرة، إسم علم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية و المغرب، بينهما وبين بجاية أربعة أيام كانت من خواص بلاد بني حماد ، و هي مدينة جبلية قديمة البنيان ،ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص132، أنظر أيضا: مرمول كربخال، المصدر السابق، ص362.

[10]- مجهول، المصدر السابق، ص132.

[11]- من المقاييس وهو في الأصل مقدار مدى البصر من الأرض أختلف في مقداره وعلى التقدير فالميل 96 ألف أصبع، محمد عمارة ، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية** ، ط1، دار الشروق للنشر، بيروت، لبنان، 1993،ص578.

[12]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص37.

[13]- محمد بن محمد العبدري ، **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007 ص49.

[14]- بالكسر ثم السكون و باء تحتها نقطتان و بعد الألف نون، مدينة في آخر إفريقية بينها و بين تنس أربعة أيام و هي مدينة رومية قديمة فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحى، جددها زيري بن مناد و أسكنها بلكين ،ياقوت الحموي ، المصدر السابق مج 5، ص196، أنظر أيضا: الحسن الوزان المصدر السابق، ص35؛ مرمول كربخال ، المصدر السابق، ص359.

[15]- العبدري، المصدر السابق، ص359.

[16]- البكري، المصدر السابق، ص241.

بها جبل يسمى جبل زكار مُطل على المدينة طوله أكثر من فرسخ، أخضر صيفا وشتاءا[1]،كما ذكر الحسن الوزان العديد من المدن الخصيبة، منها شرشال[2]،والمدية[3]، ودلس[4]،هذه الأخيرة التي كانت تنتج القمح بوفرة[5].

ومن هنا يتبين لنا أن مدن المغرب الأوسط قد تنوعت جغرافيا بين كثرة الأراضي الشاسعة والسهول الواسعة، و الجبال الخصبة مما ساعد على ممارسة الزراعة.

ب/ وفـرة الـمـيـاه:

تُعتبر المياه شريان الحياة وإستمرارها وديمومتها وذلك لقول الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾**[6]، و قوله عزّ وجل: ﴿ **وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾**[7]، فالحمدُ لله الذي مَنّ على بلاد المغرب الأوسط بهذه النعمة ، حيث تعددت مصادرها بين أمطار وأنهار ووديان وآبار، ويظهر ذلك من خلال مشاهدات الرحالة والجغرافيين، إذ أشار إبن حوقل إلى أن مدينة إبن ماما الموجودة بالقرب من تاهرت كثيرة المطر[8]، وورد عن القزويني أن مدينة تاهرت «... **كثيرة الأمطار والأنداد[9]والضباب...**»[10]، وأكد ذلك إبن عذاري المراكشي (ت ق8هـ/14م) بقوله أنها: «...**كثيرة الأمطار، قيل لبعض الظرفاء من أهلها كم الشتاء عندكم**

---

[1]- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد و أخبار العباد** ، (دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ص273.

[2]- مدينة بالمغرب من أعمال بجاية على ساحل البحر، و هي بين مدينة تنس و مدينة الجزائر تفصلها عن كل منهما مسافة خمسة عشر فرسخا في البحر، نفسه، ص208؛ أنظر أيضا: مرمول كربخال، المصدر السابق ، ص373.

[3]- مدينة كبيرة عتيقة جدا بناها السكان الأصليون في سهل خصب، و هي على بعد خمسين فرسخا من مدينة الجزائر يتميز سكانها بلطف المعاملة مرمول كربخال، المصدر السابق، ص373.

[4]- مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسع وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط تحيط بها أسوار قديمة و متينة، الحسن الوزان، المصدر السابق،ص42.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص34 وما بعدها.

[6]- سورة الأنبياء، الآية 30.

[7]- سورة البقرة، الآية 164.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[9]- الفرق بين الندى و المطر أن الندى إنما هو بخار إنحدر إلى الأرض من دون سحاب، و أن المطر إنحدر من السحاب، أحمد بن محمد ابي علي المرزوقي الأصفهاني ، **كتاب الأزمنة و الأمكنة** ، ج2، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند ، 1966، ص92.

[10]- القزويني، المصدر السابق ، ص169.

من شهر في السنة ؟ قال ثلاث عشر شهرا »[1]،كما شهد المغرب الأوسط عدة أمطار ففي سنة (381 هـ/991م) أغاث الله الأمة وتداركهم بالرحمة ومطر الناس مطرا عاما، حتى إخضرت الأرض وإرتوى الناس وإنتعشت البهائم والدواب[2].

وقد ساعدت هذه الأمطار على ظهور عدة أنهار[3]،ووديان وعيون فكان لمدينة تاهرت واد يقال له واد شلف[4]، يفيض كما يفيض نيل مصر،كما كان شربهم من أنهار وعيون[5]، ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر ديارهم[6]، و كان بمدينة المسيلة واد يقال له واد سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق[7]، و منبع هذا الواد من داخل مدينة الغدير و هو المعروف بالواد الرئيسي له منافذ يسقى منها عند الضرورة، وبها أيضا جداول وماء جار[8]، وجميع مياهها طيبة عذبة صالحة للشرب[9].

أما بجاية[10] فوُجد بها نهر مصبه من جهة المغرب من ناحية جبال جرجرة وهو نهر عظيم[11] يقرب منها نحو الميلين أو أقل من ذلك[12]، وقيل على نحو ثلاث أميال، لا يفيض إلا أيام الثلج والمطر[13]، و لمدينة مليانة نهر يسقي كثير من مناطقها[14]، وكثير من جناتها وبساتينها ومزارعها[15]

---

[1]- إبن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تح :كولان وليفي بروفنسال ، ج1، ط3، دار الثقافة للنشر، بيروت لبنان، 1983، ص 198.

[2]- علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (دط)، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط، المغرب، 1972، ص115.

[3]- عن الأنهار أنظر: الحسن الحسن الوزان، المصدر السابق، ص250 و ما بعدها.

[4]- نهر كبير ينبع من جبال الونشريس، وينحدر عبر سهول قفزة في تخوم مملكتي تلمسان وتنس ليتابع سيره إلى أن يصب في البحر المتوسط، الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص251.

[5]- اليعقوبي ، المصدر السابق، ص197.

[6]- البكري ، المصدر السابق ، ص248.

[7]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[8]- البكري ، المصدر السابق ، ص239.

[9]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص254.

[10]- بالكسر وتخفيف الجيم وألف وباء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب أول من إختطها الناصر بن علناس سنة (457هـ/1065م). وكانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة و تسمت بالناصرية بإسم بانيها ، ياقوت الحموي، المصدر السابق ، مج 1، ص 339 أنظر أيضا: محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1 مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1975،ص 81 الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص50.

[11]- الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[12]- مجهول، المصدر السابق، ص130.

[13]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص252.

[14]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[15]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص253.

وتنبعث من جبالها عيون كثيرة التدفق ومنها يسقى أكثر أهلها[1]،أما مدينة باغاي[2]فيوجد بها مياه جارية مصبها من واد القبة،كان سكانها يشربون منه ويستعملونه في سقاية الأرض[3].

وتعددت مصادر المياه في عدة مدن أخرى مثل جزائر بني مزغناي التي كان بها واد مشهور يقال له واد يسر[4]، وكان لها«...**عيون على البحر طيبة**...»، ولمدينة أشير «...**عيون تطرد**...» ولتمزكيدة عيون كثيرة وأنهار عذبة[5].

إعتمد سكان بلاد المغرب الأوسط على مياه العيون بالدرجة الأولى، ثم مياه الآبار بالدرجة الثانية، فالآبار توجد في المجال الريفي والمجال الحضري على حد سواء[6]، وهذا ما أشار إليه الرحالة والجغرافيين إذ نجد ذلك في مدينة برشك[7]، التي كان لها آبار كثيرة[8]، ووُجد بمدينة بونة[9] بئر على ضفة البحر منه يشرب أكثر أهلها ويسقون منه بساتينهم وزروعهم[10]، إضافة إلى عدة آبار في شرشال وجزائر بني مزغناي، وبلزمة[11].

وكانت طريقة حفر الآبار أن يحفر العمال بئرا يكون إرتفاعه أزيد من ستين قامة، فإذا وجدوا حجرا صلدا يستبشرون به ، ويُدخلون إليه من يعرف كيف ينقره مربوط في حبال وثيقة وينقره حتى يتدفق الماء ويبقى الماء يفور على مر السنين،وهكذا كانت طريقة حفر جميع آبارهم[12]، وضلت هذه

---

[1]- مجهول، المصدر السابق، ص171.

[2]- الغين معجمة وألف وياء، مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة و قسنطينة ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق مج 1، ص 325.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص84.

[4]- عبد الرحمان بن محمد الثعالبي ، **رحلة عبد الرحمان الثعالبي**،تح: محمد شايب شريف،ط1،دار ابن حزم للنشر،بيروت، لبنان،2005،ص107.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78 و ما بعدها.

[6]- مسطالي بوكثير، **المنشآت المائية في إفريقية خلال العصر الوسيط**، دورية كان التاريخية، العدد 22، دار ناشري ، الكويت، 2013 ، ص94. ص94.

[7]- مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة عن مستغانم بعدة أميال يسكنها أناس كثيرون و مازال في المدينة كثير من آثار العمارات الرومانية ، الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص39.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78 وما بعدها.

[9]- بالضم ثم السكون، مدينة إفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغناي، وهي مدينة حصينة مشهورة عند الكثير من الناس بإسم بلد العناب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1،ص 512، أنظر أيضا: أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، ج5، (دط)، المطبعة الأميرية القاهرة، مصر1915، ص105.

[10]- البكري ، المصدر السابق ، ص234 .

[11]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص258 وما بعدها .

[12]- مجهول، المصدر السابق، ص ص224-225.

الطريقة مستمرة إلى غاية القرن (11 هـ /17م) حين عدَّها العياشي (ت 1090هـ /1679 م) من غرائب بلدة ورقلة[1].

كما إهتمت الدويلات المتعاقبة على بلاد المغرب الأوسط بإستنباط المياه وإستخراجها، فقد وُجد في الفترة الحمادية عدة آبار، منها بئران يحتويان على قسمين متوازيين يبلغ طولهما 13,85م وعرضهما 3,50م، وبينهما جدار سمكه 1م[2]، وكانت سياسة المرابطين تقوم على إستحداث وسائل للري جديدة وإستخراجها بطريقة هندسية حيث ترتفع من منخفض الأرض إلى أعلاها بغير روافع إضافة الى إقامتهم للسدود، وشهد العصر الموحدي جهود كثيرة لتوفير المياه، سواء للشرب أو للزراعة فإستنبطوها من باطن الأرض، وجلبوها من أماكن توفرها إلى مناطق زراعية[3].

ج/ وفـرة الـيـد الـعـامـلـــة :

تعتبر وفرة اليد العاملة عاملا مساعدا على النهضة الزراعية، خصوصا وأن المغاربة إتخذوا من الفلاحة مهنة لهم توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، فكانت هذه الطبقة قد أخذت على عاتقها مهنة فلاحة الأرض، وكانت مهمتها هي حرث الأرض وزرعها وعلاج نباتها وسقيها والإهتمام بها إلى نضجها وحصاد سنابلها[4]، وكانت هذه الفئة تمثل نسبة كبيرة من مجتمع المغرب الأوسط، حيث وردت إشارات كثيرة تدل على ذلك فكان بجزائر بني مزغناي قبائل من البربر كثيرة[5]، وكانت مدينة سطيف[6]مكتظة بالسكان، ومدينة تنس[7] عامرة بالناس[8]،ومليانة عامرة آهلة،وقسنطينة مدينة أولية آهله بالسكان تسكنها قبائل شتى،وحول تاهودة[9]أزيد من عشرين قرية[10]، وهناك عدة مدن أخرى

---

[1]-أبو سالم عبد الله العياشي، **الرحلة العياشية**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،ج1، ط2،دار السويدي للنشر، أبوظبي، الإمارات،2006 ص114.

[2]- رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص273.

[3]- عز الدين أحمد موسى ، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال (ق6هـ/12م)** ، ط1، دار الشروق للنشر ، القاهرة، مصر، 1983 ص ص 180-181.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص489.

[5] -ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[6]- بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة وفتح وآخره فاء، مدينة في جبل كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر من بلاد المغرب وهي صغيرة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص220، أنظر أيضا: القلقشندي، المصدر السابق، ج5 ص110؛ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص52.

[7]- بفتحتين والتخفيف، والسين مهملة وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب، بينها وبين وهران 8 مراحل وإلى مليانة 4 أيام، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص48، أنظر أيضا: الحسن الوزان المصدر السابق، ص36؛ مرمول كربخال، المصدر السابق ج2، ص354.

[8]- مجهول، **حدود العالم من المشرق على المغرب**، تح: يوسف الهادي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر،1999،ص134.

[9]- بالفتح ثم الضم وسكون الواو والدال معجمة، إسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية لهم أرض تعرف بهم، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2 ص64.

[10]- البكري، المصدر السابق، ص241 وما بعدها.

كانت عامرة يسكنها العديد من السكان، منها قلعة بني حماد[1]، والقل[2]، وقسنطينة[3]، وميلة وملیانة وملیانة والمسيلة[4].

ومن هنا يتبين لنا أن مدن المغرب الأوسط كانت تتوفر على إمكانيات بشرية هائلة ساعدت على إزدهار النشاط الزراعي و تنوعه.

ثانيا: المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية

إن ما يلفت نظر الباحث الإقتصادي في الهدي القرآني ما يتعلق بقطاعات النشاط الإنتاجي فنجد القرآن الكريم حافلا بالحديث عن القطاع الزراعي بكل فروعه[5]، ومثال ذلك قوله تعالى:
﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾[6].

تُشير الكثير من الدراسات إلى معرفة المغاربة وإحترافهم للزراعة منذ الأزل، و لتربية الحيوانات منذ القدم، و هذا ما جعل الرحالة في الفترة الوسيطية يولون إهتماما كبيرا بهذا الجانب الذي لا يمكن لأي مجتمع الإستغناء عنه.

أ/ المحاصيل الزراعية:

تعددت ألوان النشاط الزراعي في بلاد المغرب الأوسط وتنوعت المحاصيل التي ينتجها منها:

1- الحبوب: تعتبر الحبوب نباتات برية ولا أحد يعرف بالضبط أين ومتى بدأت زراعتها، ومن المرجح أن ذلك كان منذ 5000 سنة(ق م)،ومن أهم ما كان يزرع في المغرب الأوسط القمح والشعير و الحنطة[7].

---

[1]- مدينة متوسطة لها قلعة عظيمة على قمة جبل يسمى تاقربست، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب ببلكين الصنهاجي، وهو أول من أحدثها في حدود سنة (370هـ/980م)، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص390.

[2]- مدينة بناها الحسن باشا من زمن قريب على بعد حوالي 5 فراسخ من واد الزعفران، وعلى فرسخين في عمق البلاد وبين هذه المدينة ومدينة الجزائر توجد مراسي تأتي إليها السفن وهي على ساحل قسنطينة على بعد 40 ميلا، مرمول كربخال، المصدر السابق، ص362، أنظر أيضا: أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1970، ص142.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 253 وما بعدها.

[4]- مجهول، الإستبصار، ص165 وما بعدها.

[5]- شوقي أحمد دنيا، **نظرات إقتصادية في القرآن الكريم**، ط 1، المعهد الإسلامي للبحوث، جدة، السعودية، 2007، ص24.

[6]- سورة عبس، الآية، 25،32.

[7]- عبد العزيز عبد رشيد، **زراعة الحبوب بالمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة ماجستير، إشراف لطيفة بن عميرة، جامعة الجزائر2، 2012، ص ص 43-44.

وقد شهد القرن (4هـ/10م) غزارة إنتاج الحبوب، فذكر إبن حوقل المعاصر للدولة الفاطمية أن باغاي كانت أكثر غلاتها الحنطة والشعير، وأن بمدينة بونة القمح والشعير ينتج في جميع فصولها وأوقاتها، وبشرشال الحنطة والشعير ما يزيد عن حاجتهم، ووُجدت بوفرة أيضا في عدة مدن وقرى ومداشر[1]، مثل متيجة[2] الكثيرة القمح[3]، وشهدت هذه الفترة إزدهارا كبيرا لدرجة أن عم الرخاء بالمغرب الأوسط سنة (380هـ/990م) فكان الزرع لا يجد من يشتريه لكثرته، وكان الفلاحون يتركونه ولا يحصدونه[4].

أما خلال القرن (5هـ/11م) فنلاحظ تراجع رهيب في إنتاج الحبوب في مختلف أرجاء المغرب الأوسط فلم يذكُر البكري وجود الحبوب إلا الحنطة بتامديت[5] بقوله: «...**حنطتها موصوفة**...»[6].

وعلى العكس نلاحظ إنتعاش الحبوب في القرن (6هـ/12م)، فقد وُجدت بمدينة تنس الحبوب وبكثرة، وبالمسيلة القمح والشعير، وتوجد كذلك بمدن أخرى كشرشال وبونة وجزائر بني مزغناي وبلغ إنتاجها مبلغا عظيما إلى أن أصبحت تخزن في مطامير[7]، بالعام والعامين وكانت الحنطة تخزن في قسنطينة مائة سنة دون أن تفسد[8]، وهذا ما أكده المتأخرون أمثال روبار برنشفيك الذي يرى أنها كانت بالنسبة للفلاحيين والرعاة الرحل في الهضاب العليا المجاورة لها مستودعا للقمح الذي كان يخزن في دهاليز للحفاظ عليه[9]،ويرجع هذا إلى الإهتمام بالفلاحة حيث كانت أراضي بادس[10] يُزرع فيها الشعير مرتين في السنة[11].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77 وما بعدها.

[2]- بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديده ثم ياء مثناة من تحت ثم جيم، بلد في أواخر افريقية من أعمال بني حماد، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5 ص53.

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص228.

[4]- إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص102.

[5]- بلد من بلاد المغرب شرق لمطة يذكرها ياقوت الحموي باسم تامديت وقيل تامدنت بالنون، وهي مدينة في مضيق بين جبلين في سند وعر من نواحي إفريقية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص7.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص231.

[7]- حفيرة تحت الأرض أو مكان تحت الأرض يطمر فيها الطعام والمال، أي يخبأ وقد طمرتها أي ملأتها والمطامير حفر تحفر في الأرض توسع أسافيلها وتخبأ فيا الحبوب، إبن منظور، المصدر السابق، مج 4، ص502.

[8]- الإدريسي، المصدر السابق، ص251 وما بعدها.

[9]- روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، ترجمة حمادي الساحلي،ج1،ط 1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988،ص420.

[10]- بكسر الدال المهملة وسين غير معجمة، إسم لموضعين بالمغرب، الأولى بفاس والثانية بالزاب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص317.

[11]- مجهول، الإستبصار، ص175.

كما كان للدول المتعاقبة على المنطقة دور بارز في الإهتمام بهذا المجال، فمثلا نجد أن الموحديين أولوا عناية خاصة بالزراعة حتى أن نُظُمهم العسكرية تفرض على الجند أن يتجنبوا السير في الأراضي المزروعة[1].

2- الـــفـــواكـــه:

من أهم المنتوجات التي نلاحظ كثرتها في المغرب الأوسط هي الفواكه ونلمس هذا من خلال إشارات الرحالة، ورغم أنهم إكتفوا في الكثير من الأحيان بالتأكيد على وجودها وكثرتها في جل المناطق دون تحديد أنواعها وأسمائها، إلا أننا وقفنا على بعض الأنواع ومن أهمها نذكر:

✓ **السفرجل:**

ذكر إبن حوقل وجوده في عدة مناطق منها شرشال التي يوجد بها«...**سفرجل معنق كالقرع الصغار و هو طريف**...»، وبمدينة تنس التي يكثر بها سفرجل معنق ذو ميزة خاصة لحسنه وحلاوته وطيب رائحته، وكذلك بمدينة المسيلة[2]، وإستمر إنتاج هذه الفاكهة إلى زمن البكري فذكر وجوده بتيهرت فكان سفرجلها يفوق سفرجل باقي المدن طعما وشكلا، ويسمى عندهم بالسفرجل الفارسي[3]، وضلت هذه الفاكهة تُجنى إلى غاية القرن (6هـ/12م)، إذ وُجدت في مدينة تنس حيث أن سفرجلها طيب الطعم وكبير الحجم، ووُجد أيضا بمدينة الخضراء[4]، وشرشال[5]، وميلة، وتيهرت[6].

✓ **الـتيـن:**

أورد لنا ابن حوقل مناطق إنتاجه في مرسى الدجاج[7]، وقد وصفه بالتين العظيم الجسيم إضافة لوجوده بجزائر بني مزغناي[8]، في حين أننا نتعجب من أن البكري لم يذكر التين في أي منطقة من مناطق المغرب الأوسط، لكن نجد الإدريسي قد أورده في مدينة مرسى الدجاج وبجاية[9].

---

[1]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص160.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص78،85.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص248.

[4]- بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد، وهي مدينة جبلية كثيرة البساتين على شاطئ نهر من أخصب مدن افريقية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص376.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص251 وما بعدها.

[6]- مجهول ، الإستبصار، ص ص 166،178.

[7]- هي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي، و قد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل بينها وبين أشير أربعة أيام بناها الأندلسيون وقبائل من كتامة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص105.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[9]- الإدرسي، المصدر السابق، ص ص 259-260.

✓ **الـزيــتــون:**

يُغرس الزيتون في الأرض البيضاء الجرداء الجافة الغير ندية[1]، ومن المؤكد أن بلاد المغرب الأوسط قد تميزت بعض أراضيها بهذه الميزات، غير أن ابن حوقل لم يأتي على ذكره في مختلف أرجائه، لكن خلال القرن (5هـ-11م) يتضح لنا جليا الإنتشار الواسع لإنتاج الزيتون، حيث أكد البكري أنه كان زائدا عن حاجة الناس في طولقة[2] وبسكرة[3]،أما في القرن(6هـ/12م) فنلاحظ تراجع إنتاجه إذ لم يرد عند الإدريسي ولا عند صاحب كتاب الإستبصار.

✓ **الـكــروم:**

نلاحظ وجوده بكثرة في عدة مناطق منها شرشال والمسيلة حيث كان يكفي حاجياتهم[4] وكان منتشر في طولقة والغدير[5]، وورد إنتاجه بقرية بنو وازلفين ومدينة الخضراء[6].

✓ **فـواكـه أخـرى:**

إضافة إلى الفواكه المذكورة نجد أن كتب الرحلة والجغرافيا قد تعرضت لثمار أخرى مثل الجوز الذي وُجد في تلمسان[7] بكثرة[8]، وكذلك في سطيف وهو طيب الذوق[9]، كما كان يحقق إكتفاء مدينة نقاوس[10]، إضافة إلى التمر الذي كان موجود ببسكرة[11] المشهورة ببلد النخيل[12]، وقد صنف البكري أنواعه منها جنس يُعرف بالكسبا وهو الصحاني الذي كان يضرب به المثل لجودته، وجنس

---

[1]- أبو زكريا بن محمد ابن أحمد ابن العوام الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، ج1،(دط)، الترجمة الاسبانية ،مدريد، 1802، ص 226.

[2]- مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقع الجريد، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص50.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص ص 230،254.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 78،85.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص ص 240،254.

[6]- الإدريسي ، المصدر السابق، ص ص253،258.

[7]- بكسرتين وسكون الميم و سين مهملة، و هما مدينتان متجاورتان بينهما رمية من الحجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، الأولى يسكنها الرعية والثانية الجند وأصحاب السلطان، ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج 2،ص 44، أنظر أيضا: الحسن الوزان المصدر السابق، ص16؛ مرمول كربخال المصدر السابق، ص291.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص259.

[9]- الإدريسي، المصدر السابق، ص264.

[10]- مجهول، الإستبصار، ص ص 176،178.

[11]- بكسر الكاف و راء، بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها و بين قلعة بني حماد مرحلتان، ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج 1،ص 422،أنظر أيضا: القلقشندي، المصدر السابق،ج5، ص107؛ الحميري، المصدر السابق، ص114.

[12]- المقدسي، المصدر السابق، ص230.

آخر يعرف بالليباري من ميزته أنه أبيض أملس[1]،كما وُجد بعضها في طبنة المعروفة بوفرة تمرها[2]،والمشهورة بكثرة نخيلها، وفي مدن أخرى كورقلة والمسيلة[3].

3- النباتات النسيجية و الطبية :

أورد ابن حوقل زراعة القطن والكتان في طبنة والمسيلة وبونة[4]،وذكرهم البكري بالمسيلة ومستغانم والمدية[5]، وأشار الإدريسي لوجودهم في المسيلة والزاب وطبنة ومقرة وبونة، ومن النباتات الطبية التي ذكر وجودها في بجاية شجرة الحضض، السقولوفندوريون، الباربارس، القنطريون الكبير، الرزواند القنطون والأفنستين و غيرها[6].

ب/ الثروة الحيوانية:

1- المواشي: إشتهر سكان المغرب الأوسط بتربية المواشي، وهو ما أفادتنا به كتب الرحلة إذ نلمس الإنتشار الواسع لمختلف المواشي في العديد من مناطق المغرب الأوسط، حيث كانت عند سكان قصر الفلوس كثيرة، وكانت معظم تجارة بونة من الغنم والصوف والماشية، وتنوعت بتاهرت فكان بها «... **الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية**»،كما وُجدت المواشي دون تحديد أنواعها في كل من جزائر بني مزغناي، وطبنة[7]، وشرشال[8].

ونلاحظ خلال القرن (5هـ/11م) وجود إشارات على رخص أسعار اللحم وكثرة الألبان تؤكد وجود الماشية في كل من بونة والمسيلة والغدير وتاهرت[9]، أما خلال القرن (6هـ/12م) فنجد الغنم والبقر في المسيلة وتيهرت وجزائر بني مزغناي وشرشال[10]، و من هنا يتبين لنا أن سكان المغرب الأوسط إهتموا بتربية الحيوانات وهذا ما أكده صاحب كتاب الإستبصار بقوله: «...**للمغرب الأوسط مدن...كثيرة الغنم والماشية** ...» [11].(للمزيد أنظر: الملحق رقم 1،2،3)

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص230.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص263.

[3]- مجهول، الإستبصار، ص172.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77،85.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص 239،247،251.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 224،254،291.

[7]- بضم أولها ثم السكون ونون مفتوحة، بلدة من طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير فكان سبيها 20 ألف إستجدها عمر ابن حفص هزارمرد في حدود سنة (454هـ/1062م)،ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4،ص 24.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77 و ما بعدها.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص 234 وما بعدها.

[10]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص248،258.

[11]- مجهول، الإستبصار، ص178.

2- النحل:

جاء في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾**[1].

إهتم أهل المغرب الأوسط بتربية النحل، ونلمس هذا من خلال وفرة إنتاج العسل بالعديد من المناطق حيث ذكر ابن حوقل أن سكان تيهرت يكثر عندهم العسل، وكذلك في بونة التي كان يفوق إنتاجها معظم البلدان المجاورة لها، وأضاف بأن بادية برشك يشترى منها العسل[2]، غير أن البكري لم يذكر العسل إلا في بونة[3]، لكن الإدريسي أورد العديد من مناطق إنتاجه منها تيهرت وجزائر بني مزغناي، وقسنطينة، ومازونة[4].

3- السمك:

ذُكر في مرسى الخرز فكان فيها من السمك مالا يوجد في بلد آخر مثله حجما[5]، ووُجد أيضا في المسيلة الذي لم يُرَ أبدا على صفته، لدرجة أن أهلها كانوا يفتخرون به، وكذلك بجيجل[6]، إلا أن البكري لم يذكره إلا في مدينة بونة[7]، ومن أنواع الأسماك العبانق، الأكتوبري، الأشبارس، المنكوس البقونس، الشلاح، وسمك البوري والتوني[8].

4- الطيور:

إهتم سكان المغرب الأوسط بتربية الطيور فنجد بمرسى الدجاج طير مشهور يسمى بالسماني وطائر آخر بمدينة بونة يعرف بالكيكل ويسمى بالخواص، وهو يعشعش فوق الماء ويفرخ وإذا أحس بأحد دنى منه رفع عشه، وهو طائر حسن[9].

ثالثا: العوامل المؤثرة على الإنتاج الزراعي

شهد المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية كغيره من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات وكوارث عديدة عرفت المنطقة على إثرها تذبذب بين الحين والآخر في النشاط الزراعي ومن بين هذه العوامل المؤثرة:

---

[1]- سورة النحل، الآية 68.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 77، 86.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص234.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص256 وما بعدها.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص254،268.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص 234.

[8]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص72.

[9]- مجهول، الإستبصار، ص ص 127،131.

أ/ الكوراث الطبيعية:

كانت الكوارث الطبيعية من الآفات الإقتصادية المألوفة خلال العصر الوسيط، نظرا لما كان يترتب عنها من مشاكل، فالفقهاء يتفقون على أن الأضرار المترتبة عن تقلبات الطبيعة هي المتسببة للكوارث، لأنها من أمر السماء لا من فعل الناس لا يمكن دفعها ولا يقدر الإحتراز منها كالريح والمطر والبرد والجليد والنار[1].

ضربت المغرب الأوسط العديد من الكوارث منها الرياح الكثيرة القوية التي كانت تضرب مدينة قسنطينة نظرا لعلوها وإرتفاعها[2]،إضافة إلى رياح قوية هبت سنة (342هـ-953م) هدمت المباني وضربت كذلك سنة (355هـ-966م) فكان أثرها كبيرا إذ إقتلعت الأشجار، وهدمت الديار، وقتلت الناس، كما كانت في سنة (379هـ-989م) رياح شرقية دامت ستة أشهر صاحبتها أمراض كثيرة[3] وفي سنة (437هـ-1045م) هبت رياح عاصفة قصفت ما مرت به من الشجر لقوتها وشدتها[4].

وغالبا ما كانت هذه الرياح تأتي مصحوبة بالأمطار والبرد والثلج، ففي سنة (339هـ-950م) نزل برد عظيم كبير الحجم وزنه حوالي رطل أو أزيد، قتل الطيور والبهائم وأفسد الثمار والزروع وفي سنة (343هـ-954م) نزل أيضا برد عظيم لم يُعهد مثله من قبل، قتل المواشي وأهلك العباد، كما شهد كامل المغرب سيولا مدمرة مصحوبة برعود قاصفة دامت هذه الأخيرة أياما كثيرة[5].

وعُرفت بعض مدن المغرب الأوسط بمناخها الصعب، فكانت مدينة تيهرت شديدة البرد كثيرة الغيوم[6]، وأشار صاحب كتاب الإستبصار إلى أن مدينة الغدير شديدة البرد والثلج، وأضاف قائلا: «...**لقد دخلت هذا الفحص في زمن الصيف فرأيت الجليد[7] ينزل فيه بالغدو، ومن أمثال تلك تلك البلاد بلد عجيسة في الصيف، وأما في الشتاء فسكرات الموت...**» ، أما مدينة بونة فبها

---

[1]- الحسين بولقطيب، **جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين**، ط4، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2002 ، ص28.

[2]- مجهول، الإستبصار، ص 165.

[3]- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 100،102،116.

[4]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 276.

[5]- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 100 وما بعدها.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص248.

[7]- يسمى أيضا الصقيع ولا يكون إلا بالليل فإذا أصاب الأرض وأفسد نباتها يقال أرض ضربة، ويخرج من السماء إذا لم يكن فيها غيوم،الأصفهاني المصدر السابق، ج2، ص90.

جبل كثير الثلج والبرد، ونفس الحال بباقي المدن مثل تيهرت وقسنطينة[1] وتلمسان المعروفة بتساقط البرد والثلوج في زمن الشتاء[2].

ومن بين الكوارث نجد الحرائق التي غالبا ما تكون وراءها أسباب سياسية أو شخصية أو تنتج أحيانا عن اللامبالاة والسهو[3]، ولعل أهم حريق حدث في المغرب الأوسط كان سنة (305هـ/917م) أحرق أسواق مدينة تيهرت، لدرجة أن سُميت هذه السنة بسنة النار لما تركه من خراب و دمار، كما حدثت كوارث أخرى مثل الزلازل، ففي سنة (472هـ/1079م) ضربت زلازل عظيمة لم يرى الناس مثلها من قبل، هدمت البنيان ومات فيها بشر كثير تحت الردم وتركت آثار فساد لأنها تكررت لعدة أيام، وكذلك هجوم الجراد على المزارع سنة (381هـ/991م)، وإستمر ذلك ثلاث سنين، إضافة لكسوف الشمس سنة (471هـ/1078م) وهو كسوف عظيم لم يُشهد مثله[4]، وكسوف سنة (480هـ/1087م) الذي كان كسوفا كليا[5].

ب/ المجاعات و الأوبئة:

المجاعة وهي القحط يعم بسببه الجوع[6]، والمجاعة عام الجوع، مصدرها من الجوع[7]، وقد وردت كلمة الجوع في القرآن الكريم، يقول الله عزّ وجل ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾[8]، أما الأوبئة فهي من الوبأ، و قيل هو كل مرض عام، ونقول أرض موبئة أي كثيرة الوباء[9].

وتعتبر المجاعات والأوبئة من الأزمات التي أثرت على مجتمع المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية وكان من أسباب حدوثها عزوف الناس عن الفلاحة، وغلاء الأسعار، وحدوث الجفاف بين الحين

---

[1]- مجهول، الإستبصار، ص127 وما بعدها.

[2]- الزهري، المصدر السابق، ص114.

[3]- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص62.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص98 وما بعدها.

[5]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص301.

[6]- محمد عمارة، المرجع السابق، ص512.

[7]- ابن منظور، المصدر السابق، مج 8، ص61.

[8]- سورة النحل، الآية 112.

[9]- ابن منظور، المصدر السابق، مج 1، ص189.

والآخر،إضافة إلى عدم إدخار الزرع[1]،وقد ذكر الرحالة والمؤرخون بعضا من هذه الأسباب في المغرب الأوسط فكانت تيهرت دائمة القحط[2]، وتنس شديدة الجفاف لذلك قيل فيها:

أيها السائل عن أرض تنس *** بلد اللؤم لعمري و الدنس

بلد لا ينـزل القــطر بهــا *** للندى في أهلها حرف درس[3].

وشهد المغرب كله قحط شديد جفت من أجله المياه وذلك في سنة (381هـ/991م)، وتكرر هذا القحط سنة (407هـ/1016م)، وإشتد أكثر في سنة (411هـ/1020م) حيث مس جميع المغرب من تيهرت إلى سجلماسة[4]، وكان غلاء الأسعار عاملا في ظهور المجاعات ففي سنتي (395هـ-483هـ/1005م-1090م) إرتفعت الأسعار بجميع بلاد المغرب[5].

وكان من نتائج هذه الأسباب السالفة الذكر ظهور مجاعات وأوبئة شهدت جميع بلاد المغرب والراجح أنها مست المغرب الأوسط، ففي سنة (303هـ/915م) ضربت مجاعة لم يشهد الناس مثلها لدرجة أنهم عجزوا عن دفن موتاهم، وتكررت سنة (307هـ/919م) فأصاب الناس وباء كثير وطاعون[6]،كما شهدت سنة (344هـ/955م) وباء عظيم هلك فيه أكثر الخلق،وظهرت مجاعة أخرى شديدة أضرت بالناس ودامت ثلاث سنين[7].

وذكر إبن عذارى المراكشي عدة مجاعات منها مجاعة حدثت سنة (395هـ/1005م) كانت لها آثار وخيمة، هلك فيها الغني والفقير ورحل أهل البادية عن أوطانهم، وخلت جميع منازلهم ولم يبقى بها أحد، فظهر فيهم الوباء والطاعون ومات منهم أهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصى عددهم،كما شهدت سنوات (425هـ/1034م)-(447هـ/1055م)-(469هـ/1076م)-(483 هـ/1090م) (491هـ/1098م) مجاعات شديدة مات فيها الخلق الكثير[8].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص370.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، 93.

[3]- مجهول، الإستبصار، ص133.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 114، 118.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص ص 302، 356.

[6]- داء معروف والجمع الطواعين وطعن الرجل والبعير فهو مطعون، وطعين أي أصابه الطاعون والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان، إبن منظور، المصدر السابق، مج 3، ص267.

[7]- ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 98 وما بعدها.

[8]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص275 وما بعداها.

وكانت مدينة تنس كثيرة الوباء[1]،من يدخلها لا يسلم من المرض وكثيرا ما يموت بها الغرباء[2]،والحمى لا تفارق أهلها في أكثر الأوقات لأن هوائها وبي وماؤها ردي[3].

ج/ الـــهـــجـــرة الـــهـــلالـــيـــة:

يرجع نسب الهلاليين إلى بنو عامر بن صعصعة الذين سكنوا نجد والطائف، ودخلوا الإسلام وأقاموا بالشام إلى أن توجهت أنظارهم إلى بلاد المغرب[4].

يرى المؤرخون أن الغزو الهلالي لبلاد المغرب في منتصف القرن (5هـ/11م) كان مدمرا ومن أبرز العوامل التي أدت إلى تراجع النشاط الزراعي في هذا القرن، فقد سارت قبائلهم إلى هذه المنطقة وهي تبدوا كأنها ظاهرة خارقة للعادة بالفرسان والأمراء والنساء والأطفال والشبان والشيوخ والحيوانات والأمتعة، ومروا على مراحل متعددة وهم كالجسد الواحد[5]، لا يمرون بشيء إلا وأفسدوه[6]، فأفسدوا الزروع والثمار وقطعوا الطريق وشنوا الغارات وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم ونزل بلاء لم يشهد مثله من قبل[7]،وظلت هذه القبائل تعثوا في البلاد حتى عم الخراب[8].

وكان دخولهم على ثلاث جهات، الأولى جهة السواحل حيث تقطن كتامة فإنتشروا على ضواحي القالة وعنابة وقسنطينة إلى القل، والجهة الثانية جهة الهضاب حيث تحكم الدولة الحمادية أما الجهة الثالثة هي الصحراء حيث تكثر خيام زناتة،فعجزت هذه الأخيرة عن مدافعتهم بمنطقة الزاب[9].

وواصلوا زحفهم في البلاد فعلى قول ابن خلدون أنهم «...**لحقوا بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها، ثم طبنة والمسيلة فضربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن، فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوق العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في البلاد الفساد...**» [10].

---

[1]- الإصطخري، المصدر السابق، ص38.

[2]- مجهول، الإستبصار، ص133.

[3]- القزويني، المصدر السابق، ص173.

[4]- ابن خلدون، العبر،ج6، ص15.

[5]- عبد الحميد بوسماحة، **رحلة بني هلال و خصائصها التاريخية و الإجتماعية و الإقتصادية**، ج1، (دط)، دار السبيل للنشر، بن عكنون، الجزائر 2008 ص135.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 20.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص296.

[8]- التجاني، المصدر السابق، ص16.

[9]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص182.

[10]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص27.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القبائل كانت مضطرة لنهب المزروعات، وأعمال السلب نظرا لنفاذ المؤن، التي كانت تحملها طول الرحلة فكان من الطبيعي أن تنقض على ما تقابله عندما تصل إلى المدن[1].

ومن النتائج الملموسة من هذا الغزو أن هجر الناصر بن علناس قلعة بني حماد، وترك الناس أراضيهم الفلاحية وثرواتهم الحيوانية متوجهين نحو مدينة بجاية[2]، ومن نتائجها أيضا عزوف الناس عن الفلاحة وفرار الفلاحين من الضواحي وذلك لإنعدام الأمن[3].

وقد إستغل الغربيون الهجرة الهلالية بتضخيمها، إلى أن بالغوا وإعتبروا أنها سبب في نهاية حضارة المغرب الأوسط، من خلال تحميلها مسؤولية الإنحطاط الذي حدث من تخريب للمزارع وإحداث أثر سلبي على جميع الأنشطة[4]، كتخريب العمران وإتلاف المحاصيل الزراعية وإغتصاب الأراضي وطرد سكان البربر الأصليين[5].

وما لمسناه من خلال كتب الرحلة والجغرافيا أن هذا القرن تميز بضآلة المحاصيل الزراعية، وذلك راجع ربما إلى هذا الغزو الذي أتى على الأخضر واليابس.

---

[1]- حسين خضيري أحمد، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، مصر،1996، ص262.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص28.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص135.

[4]- Lucien Golvin, **Le Maghreb central a l'epouque des zirides**, Recherches d'archéologie et et d'histoire, Paris.1957, p 307.

[5]- Hady roger idris,**La berbirie prientale sous les zirides X-XII siecles**, Paris, 1962, P 625.

المبحث الثاني: الصناعة

أولا:

العوامل المساعدة على النشاط الصناعي

ثانيا:

أهم الصناعات

الـــصـــنـــاعـــــة:

لقد حثّ الإسلام على ممارسة الصناعة، ومختلف المهن من خلال التشجيع على العمل لقول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾** ﴾[1]، وقوله عزّ وجل: ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« **ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيرًا من أن يَأكُلَ من عمل يدِه، وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ عليه السلامُ كان يأكلُ مِن عمَلِ يدِه** » وقوله كذلك:« **لأنْ يحتطبَ أحدُكم حُزمةً على ظَهرِهِ خَيرٌ من أن يسأَلَ أحدًا فيُعطيَهُ أو يَمنعَه** »[3].

إمتهن سكان المغرب الأوسط صناعات متعددة ومختلفة وقبل الحديث عن ذلك وجب علينا إعطاء مفهوم للصناعة التي يعرفها ابن المنظور بقوله:« **الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة والصناعة ما تستصنع من أمر...ورجل صنيع اليدين أي صانع حاذق وإمرأة صناع اليد أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين** »[4].

ونقصد بالصناعة في دراستنا تحويل و تصنيع الإنتاج الزراعي وكل ما هو متعلق به من محاصيل زراعية وثروة حيوانية، وإستخراج المعادن وتصنيعها والإستفادة من ذلك كله لسد حاجيات الناس الضرورية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله:« ...**إن كل مقتني من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الإنساني...وإلا لم يحصل ولم يقع به إنتفاع...**»[5]، ومما تجدر الإشارة إليه أن الصناعة لا تكتمل بغير النظر في عوامل مساعدة تؤثر فيها ومن أهمها: وفرة المعادن وإتساع العمران وقلة الضرائب.

---

[1]- سورة الجمعة، الآية 10.

[2]- سورة المزمل، الآية 20.

[3]- صحيح البخاري، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم 2072،2074، ص499.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، مج 8، ص209.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص478.

أولا: العـــوامـــل المـــســـاعـــدة عـــلى النـــشـــاط الصـــنـــاعـــي:

أ/ وفـــرة الـــمـــعـــادن:

من منطلق إسلامي أولا، و علمي ثانيا يرى ابن خلدون بأن الموارد الطبيعية خلقها الله تعالى ولم توجد مصادفة ولا من نفسها ولا عبثا، ولهذه المواد وظيفة حيوية هامة في خدمة الإنسان فقد خلقها الله تعالى ليستخدمها الإنسان في أداء وظيفته العبادية والعمرانية، وهي في جملتها مواد وليست منتجات جاهزة للإستخدام النهائي، وتكمن فيها منافعها لكنها تحتاج إلى جهد بشري لإبرازها وهي تتفاوت من مكان لآخر، فتفيض في بعض البلدان وتقل في بعضها الآخر[1].

ومن بين الأقاليم التي تزخر فيها المعادن بوفرة إقليم المغرب الأوسط، حيث أورد ابن حوقل بعضا منها ومناطق تواجدها ومن ذلك معدن الحديد والفضة بمجانة، والحديد بمدينة بونة إذ يقول أن «...**بها معادن حديد كثيرة**...»[2]، وهذا ما أكده ياقوت الحموي بأن بها معدن الحديد بكثرة[3] كما تواجد معدن الذهب بوفرة في سطيف[4].

أما في القرن (5هـ/11م) فقد ذُكرت عدة معادن كان لها دور في تنمية وتطوير النشاط الصناعي ومن بين هذه المعادن وُجد معدن الحديد والزئبق في مدينة أرزاو، ومعدن النحاس وحجر اللازورد[5] الطيب في سواحل مدينة جيجل[6]، أما مجانة[7] فقد سُميت مجانة المعادن وذلك راجع لكثرة ما وُجد فيها من معادن الفضة والتي تسمى بفضة الوريطسي[8].

و إلى جانب هذه المعادن وُجد الملح في جبل بسكرة الذي قال عنه البكري أنه « ... **يقطع منه الملح كالصخر الجليل، ومنه كان عبد الله الشيعي وبنوه يستعملونه في أطعمتهم**»[9]

---

[1]- شوقي أحمد دنيا، ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد، ص37.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77 ، 84.

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص512.

[4]- مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص134.

[5]- يتخذ منه إلا ماكان حسن جوهره ولا يمكن للعامة من إتخاذها، فأما المطحون منه فيستعمل على جودته بحسن زهرته، وهو بصناعة لا تتفق في كل حين لأنه لا يحتاج إليه إلا في التزويق فقط، أبو الفضل بن علي الدمشقي، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، مخطوط حققه محمد عبد المجيد الدوماني، قسم المخطوطات، جامعة الرياض، 1977، ص13.

[6]- مدينة تقع على بعد إثني عشر فرسخا من بجاية، بناها الأفارقة الأقدمون على ساحل البحر المتوسط، كانت تسمى جلجيل ويسميها بعضهم جيجل و يسمونها جيجلي، مرمول كربخال، المصدر السابق، ص380.

[7]- بالفتح وتشديد الجيم وبعد ألف نون، بلد بإفرقية وهي تسمى قلعة بسر نسبة لفاتحها بسر بن أرطاة بينها وبين القيروان خمس مراحل، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص56.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص 329 و ما بعدها.

[9]- نفسه ، ص230.

ويتضح لنا من هذا القول أن الدولة الفاطمية إستغلت موارد المغرب الأوسط وحرصت على إستخراجها وإستغلالها في الحياة العامة، كما كانت المعادن متوفرة بكثرة في عهد الدولة الحمادية فنجد الحديد بمجانة وبونة وبجاية، والفضة والرصاص والأثمد[1] بمجانة[2].

ووُجدت الكثير من المعادن كالخشب في مدينة بجاية، الذي كان في جبالها وأوديتها يُستعمل لصناعة السفن، وكذلك معدن الحديد المتواجد بها بكثرة، ومعدن الجص[3]بوفرة في قرية مَتُوسَة،أما مدينة بونة ففيها الكثير من الخشب، إظافة إلى معدن الحديد[4].

كما وُجدت عدة معادن بصحراء مدينة ورقلة منها معدن حجارة يشبه العقيق[5]، وقد إختلفت ألوان هذه الحجارة فمنها الحمراء والصفراء والبيضاء، وتعتبر هذه المادة من أحسن ما جادت به الصحراء، وفيها أيضا معدن الشب الأبيض الطيب الذي لا يوجد مثله ولا أحسن منه بأي بلد[6].

ومن أشهر المعادن التي إزدان بها المغرب الأوسط حسب ابن حوقل المرجان[7]، الذي ينبت كالشجر في الماء ثم يتحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين، وقد وُجد في مرسى الخرز، وفي حديثه عن هذا المعدن يقول «...**ولا أعرف في شيء من البحار له نظير في الجودة ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز**...» ، ونظرا لأهمية هذا المعدن كان يشتغل به أمناء وناظر ومعاونين يراقبون ما يصدر منه[8]، لذلك لم تكن هذه المدينة مشهورة إلا به[9].

وقد إسترسل الإدريسي في حديثه عن هذا المعدن بمرسى الخرز بوصفه أنه أجل جميع المرجان الموجود بسائر الأماكن، والمتوفر في كل سنة، ويُعمل به في كل الأوقات، أما عن طريقة جنيه فكان

---

[1]- هو حجر يتخذ منه الكحل، وقيل ضرب من الكحل وقيل هو نفس الكحل وقيل شبيه به ، ابن منظور، المصدر السابق مج 3، ص 105.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص136.

[3]- هو الذي يطلى به، وهو معرب وليس الجص بالعربي، وهو من كلام العجم ولغة أهل الحجاز في الجص أنه القص، ورجل جصاص صانع للجص وجصص الحائط وغيره أي طلاه بالجص، ابن منظور، المصدر السابق، مج 7، ص10.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص260 و ما بعدها.

[5]- هو من أحسن الجواهر المليحة، وأفضل العقيق الأحمر القاني اللون الحسن المائية والإشراق، ويسمى الرطب وبعدها الأصفر الذهبي اللون، ودونه ما مال لونه إلى البياض أو إلى السواد، الدمشقي، المصدر السابق، ص13.

[6]- مجهول، الإستبصار، ص224.

[7]- اللؤلؤ الصغار أو نحوه واحدته مرجانة، و هو جوهر أحمر و المرجان بقلة ربعية ترتفع قيس الضراع، بها أغصان حمر وورق مدور كثيف جدا رطب ردي، ابن منظور، المصدر السابق، مج 2، ص366.

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[9]- المقدسي، المصدر السابق، ص236.

العمال يستعملون حوالي 50 قاربا، وكان يصاد بآلات كثيرة، تُدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال ويستخرجونه ثم يبيعونه بالأموال الطائلة[1].

ويبدوا أن المرجان كان من أبرز ما أُشتهرت به المنطقة وذلك لوفرته ونشاط إستخراجه، كما وُجد كذلك البرونز والفضة، اللذان أمكن إستغلالهما في صناعات كثيرة، ووُجد القطن وقصب السكر والكتان وغيرها من المحصولات الزراعية القابلة للتصنيع[2].

ب/ إتساع العمران:

إن التقدم العمراني ضروري في تواجد الصناعات وإزدهارها، فهناك روابط وطيدة وعلاقات بالغة القوى بين تقدم وإرتقاء الصناعة وتقدم العمران، فقد فُصل في ذلك إلى حد صياغة تعليمات وقوانين منها أن الصناعة تزدهر في المناطق الحضارية، ورسوخها إنما هو برسوخ الحضارة وإنها تكثر إذا كثُر طالبوها[3].

ومن هنا يتبين لنا أن الصناعة تنقص في الإقتصاد البدوي وتزدهر في العمران الحضري، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: «...**وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع...أما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا بسيط**...» [4].

ويُعتبر ابن حوقل من أبرز الرحالة الذي إعتني برصد الظاهرة الإقتصادية في المغرب الأوسط إذ توفرت لديه معلومات مهمة في الجانب الإقتصادي، لكنه إقتصر فيها على الزراعة دون أي ذكر للصناعة، لأن هذه الفترة تمثل فترة إقتصاد البادية، فنجده يذكر البوادي في كل من بونة وجزائر بني مزغناي وتنس وبرشك[5]، فالبدو لا يقوون على تصنيع المواد الخام ويضطرون بتصديرها خاما إلى أسواق المدن[6].

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص290.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص224.

[3]- شوقي أحمد دنيا، ابن خلدون مؤسس علم الإقتصاد، ص46.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص502.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77 وما بعدها.

[6]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص78.

ومن خلال هذه العلاقة بين الصناعة والوسطين البدوي والحضري، نستطيع القول أن الصناعة في المغرب الأوسط خلال القرن (4هـ/10م) كانت ضئيلة رغم ظهور عدة مدن مثل أشير والمسيلة والقلعة إلا أن عمرانها إتسم بالبداوة، لكنها ما لبثت أن تطورت بتطور العمران.

غير أننا نلمس خلال القرنين (5-6هـ/11-12م) إتساع نطاق العمران في بلاد المغرب الأوسط بدليل تطور مدن، وظهور مدن أخرى، فإذا كانت تلمسان المدينة العظمى، فإن تيهرت كانت تقارب دمشق وقرطبة، لأنها تمدنت وإتسعت خطتها وهذا ينعكس إيجابيا على إزدهار الصناعة[1] كما ظهرت مدينة بجاية التي لم يكن لها شأن قبل هذا التاريخ، وبُنيت تاقرارت غرب المدينة القديمة[2].

ومن مظاهر إزدهار العمران ظهور العديد من المنشآت العمرانية، التي كان لها دور في تطور الصناعة وبروز الحرف، ومن بين هذه المنشآت نجد الحصون والقلاع، حيث ذكر البكري وجودها بمدينة بلزمة[3]، وكذلك بتلمسان مثل حصن تاملغيت وحصن تانكمرت وحصن هنين، والقلاع مثل قلعة الديك، وقلعة السكة ،وقلعة دلول[4]، وحدد الإدريسي الكثير من الحصون مثل حصن تاكلات وحصن كليدس وحصن سطيف وحصن إيكجان وغيرها[5].

ونجد كذلك المراسي التي غالبا ما تكون بها دار لصناعة المراكب، وعموما فإن البكري قد ذكر جُل مراسي المغرب الأوسط[6]. (أنظر الملحق رقم 4)

ورغم غزارة المعلومات التي تتوفر عليها كتب الرحلة في الجانب العمراني، إلا أنها كانت شحيحة فيما يخص المساجد والحمامات والأربطة[7]، رغم ذلك فقد ذُكرت المساجد في بسكرة ووهران وبونة والحمامات بتيهرت التي وُجد بها حوالي 12 حماما، والأربطة بمدينة أرزاو وشرشال وبمرسى مغيلة[8].

و إنطلاقا من هذا يتبين لنا أن معظم مدن المغرب الأوسط قد دخلت في طور التحضر الذي له علاقة وطيدة بالواقع الصناعي.

---

[1]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص84.

[2]- الطاهر طويل، المرجع السابق، ص ص171،297.

[3]- من المدن القديمة، تقع على الطريق ما بين القيروان والزاب مرورا على باغاية، وتعتبر من الحصون الرومانية القديمة بمنطقة الزاب ، الطاهر طويل المرجع السابق، ص133.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص 227 وما بعدها.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 262 وما بعداها.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص267 وما بعدها.

[7]- الرباط من الخيل الخمسة فما فوقها، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا، ابن منظور، المصدر السابق، مج 7، ص302.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص230 و ما بعدها.

ج/ قـلـة الـضـرائـب:

من العوامل المساعدة لإزدهار الصناعة تخفيف الحكام للضريبة التي يعرفها محمد عمارة بقوله: « **الضريبة بفتح الضاد مشددة وكسر الراء ممدودة، والجمع ضرائب من معانيها الإتاوة المضروبة أي المقدرة قدرها ومدتها، ويجمعها الراعي مما له عليهم هذه الولاية** »[1].

ويرى ابن خلدون أنه «...**إذا قلة الوزائع و الوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الإعتمار ويتزايد لحصول الاغتباط بقلة المغرم...**» [2].

وقد تعاقبت على بلاد المغرب الأوسط عدة دويلات تباينت في فرضها للضرائب فنجد الدولة الفاطمية التي تبدوا أنها فرضت ضرائب في بعض الأحيان، إلا أنها لم تكن في الحقيقة أكثر من إجراء يراد به تنظيم الحركة الإقتصادية، ودفع الناس إلى الجد في العمل[3]، ويتبين ذلك من خلال وصية الخليفة الفاطمي المعز[4]، لخلفائه على المغرب وهي عدم رفع الجباية على أهل البادية وفعل الخير مع أهل الحاضرة، وهكذا كان الخليفة يُدرك أن سكان البادية لا يتم خضوعهم إلا بالصرامة، وأولى إهتمام بأهل الحضر لأنهم عصب الدولة الحقيقية ومصدر ثروتها[5].

كما كانت الدولة الحمادية تتمتع بالكثير من الحرية في إطار المعاملات الإقتصادية، التي لم تفرض عليها أي قيود إلا في حدود الواجبات التي تفرضها الشريعة الإسلامية، وإتسمت بالليونة في بعض الأحيان، فنجد مثلا أنه عندما أراد حماد تعمير القلعة عفى السكان من الضرائب، وكذلك فعل الناصر عندما أراد تعمير بجاية[6].

أما المرابطين فاعتمدوا على سياسة ضريبة تستمد من الشرع، فأخذوا الزكاة والعشور والغنائم وجزيات أهل الذمة[7]، وحرصوا في دولتهم على إسقاط الضرائب غير المشروعة على كاهل شعوبهم

---

[1]- محمد عمارة، المرجع السابق، ص342.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص343.

[3]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص85.

[4]- هو أبو تميم الملقب بالمعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي، عبيد الله ولد بالمهدية (319هـ/931م)، بويع بالخلافة في حياة أبيه المنصور و بعد أن مهد جميع بلاد المغرب توجهت أنظاره نحو مصر ففتحها سنة (358هـ/969م)، وكانت وفاته سنة (365هـ/975م) بالقاهرة، ابن خلكان، المصدر السابق، مج 5، ص 224.

[5]- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص35.

[6]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 214 ، 230.

[7]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص164.

وإتبعوا نظاما ماليا يقوم على قواعد الإسلام، وكان هذا النظام ظاهر المعالم في زمن يوسف بن تاشفين الذي إلتزم بالكتاب والسنة في جمع الأموال وتوزيعها، وبلغ به الأمر إلى صرف الزكاة في مصارفها الشرعية من غير حيف ولا عسف، وكان لا يأخذ الضرائب و المكوس بل يُسقطها[1].

وفي هذا الشأن يقول إبن أبي زرع «...**أن المرابطين كانوا أهل ديانة ونية صادقة خالصة، لم يجري في عملهم طول أيامهم رسم مكس، ولا معونة، ولاخراج في بادية ولا في حاضرة...ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تسقيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر...**» [2].

وتجدر الإشارة إلى أن الموحدين في سياستهم الضرائبية توخوا إنتهاج نظام ضريبي واحد حتى نهاية القرن (6هـ/12م)، وركز عبد المؤمن أيام الثورة وبعد قيام الدولة على أن من في طاعة الموحدين لا يطلبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه، وإلتزم خلفاءه من بعده بهذه السياسة، وإقتصروا على الزكاة والعشور وأخماس المعادن والغنائم والخراج، وكانت الأولى تحت إشراف القاضي الذي يوزعها على مستحقيها[3]، وسارت الدولة الموحدية على منوال واحد مستندة على الشرع فلم يظهر في نظامها المالي مكس ولا جور[4].

ثانيا: أهم الصناعات

من خلال إطلاعنا على كتب الرحلة نجد أنها لم تقف لا من قريب ولا من بعيد عن الصناعة في المغرب الأوسط، ورغم ذلك فإننا وقفنا على بعض الإشارات والنصوص التاريخية التي تحدثت على بعض الصناعات في العديد من مدنه ومن أبرزها:

أ/ صناعة السفن:

كانت صناعة السفن موجودة في العديد من المدن، ولعل من أهمها مرسى الخرز التي كان بها عمال كثيرون لهم مكاسب وافرة[5]،والظاهر أن هؤلاء العمال كانوا يزاولون حرفة صناعة السفن،وبهذه

---

[1]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 148 ، 203.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص167.

[3]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص173.

[4]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص306.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

المدينة مرفأ للسفن تنشأ فيها المراكب الحربية التي كان يغزى بها إلى بلاد الروم[1]، وكانت صناعة السفن موجودة أيضا في بجاية التي كان بها دار لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، وذلك لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير[2]، وما لبثت أن تطورت و تضاعف إنتاج هذه الصناعة بهذه المدينة حيث أصبح لها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن[3]، كما كانت هذه الصناعة موجودة أيضا بمدينة بونة[4].

ب/ الصناعة النسيجية:

تُعتبر صناعة النسيج الصناعة الرئيسة في الفترة الوسيطية، بسبب حاجة الناس إليها على إختلاف طبقاتهم وفئاتهم، وربما كان لكل جهة إنتاجها الخاص، فقد أُشتهر إقليم المغرب الأوسط بصناعة النسيج بسبب وفرة المادة الخام[5]، وكانت أهم المواد المستعملة في هذه الصناعة التي تمارسها النساء عادة هي الصوف والقطن، الذي تنتجه حقول المسيلة ونقاوس وطبنة بكثرة، والكتان الذي كانت زراعته منتشرة في منطقة بونة[6].

وعلى ضوء ما تناقلته كتب الرحلة يتضح لنا أنه رغم ذكرها للأصواف والقطن والكتان بوفرة، إلا أنه لم يرد فيها ما يُشير للمنسوجات في المغرب الأوسط فلم يتطرق ابن حوقل ولا البكري لهذه الصناعة، إلا أننا نلمس من خلال إشارات صاحب كتاب الإستبصار وجودها في بجاية التي إختص أهلها بصناعة العمائم، حيث كان لملوك صنهاجة عمائم مذهبة، وببلادهم صُناع لذلك كانوا يصنعونها بإتقان[7].

ونجد الزهري يتحدث عن منسوجات تلمسان بقوله :« ...**وهي دار مملكة يُعمل فيها من الصوف كل شيء بديع، من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك، ويوجد فيها كساء كامل...وهذا من بديع ما خص به أهلها من جميل**

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص234.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[3]- مجهول، الإستبصار، ص130.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص138.

[5]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص89.

[6]- إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص239.

[7]- مجهول، الإستبصار، ص129.

صنعهم...»[1] وبنفس المدينة أنواع كثيرة من الأقمشة المصنوعة من الصوف، مثل الكنابيش التي تنسجها النساء، ولا يوجد هذا النوع في غيرها من البلدان[2].

وكانت بالقلعة الحمادية معامل لنسج الأكسية القلعية الرفيعة النسج الحسنة المطرزة بالذهب والسجاجيد والملابس الفاخرة[3]، و كانت تصنع بها أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة[4]، أما في بجاية عاصمتهم الثانية فقد ذكر لنا البيذق (ت ق6هـ/12م) ملابس غريبة كان ابن تومرت ينهى الناس عنها مثل الأقرار الزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات[5].

واكتفى أهل الأرياف بما تصنع أيديهم الماهرة فصنعوا ما يحتاجون إليه من حصائر وقطائف وثياب، وكان الأغنياء في المدن في حاجة إلى ما يواكب منزلتهم الإجتماعية وأذواقهم الراقية مما دفع بالصناع إلى صناعة ما يُرضي شهوات هذه الطبقة من الملابس[6]، فلا يمكن حصر إستعمالات النسيج فمنها الخيام على إختلاف أنواعها والأثاث المنزلي كالفراش والستائر والعصائب والفوط وصناعة البسط الموجودة في تبسة[7]، التي كانت مشهورة بها[8]،إضافة إلى منتوجات أخرى كالمناديل والثياب وإختصت قلعة بني حماد بصنع وتصدير أقمشة صوفية، وبجاية بتصنيع ملابس بديعة وعمائم الشرب أو الكتان الرقيق، المطرزة بالذهب المعدة للطبقة الراقية[9].

ج/ صـنـاعـة الـورق:

إقترنت صناعة الورق وإتصلت بالمنسوجات لأن الورق كان يصنع من القطن والكتان، فكان بالقلعة معامل يصنع بها الورق منذ عهد الفاطميين[10]، وليس من المستبعد أن يكون الصنهاجيون قد إستمروا في صناعة البردي وإستعماله في المراسلات الرسمية والإدارية[11]، ويرجع سبب إزدهار صناعة الورق إلى عاملين، أولها أن البلاد أصبحت مركز القيادة الأساسية والإدارية، كما أن القيادتين المرابطية

---

[1]- الزهري، المصدر السابق، ص113.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص44.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص225.

[4]- مجهول، الإستبصار، ص170.

[5]- ابن ابي بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي ابن تومرت**،(دط)، المنصور للطباعة و النشر، الرباط، المغرب، 1971، ص19.

[6]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص224.

[7]- بالفتح ثم بالكسر وتشديد السين المهملة، بلد مشهور من أرض إفريقية، وهو بلد قديم به آثار الملوك بينها وبين سطيف ستة مراحل تسكنها العرب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص19.

[8]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص91.

[9]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص250.

[10]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص219.

[11]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص251.

و الموحدية اللتان قامتا على رسالتين دينيتين كثيرا ما إستخدمت الرسائل للدعاية السياسة، وثانيها عظم الإهتمام بالكتب والنسخ وإنشاء المكتبات، فكان في بجاية وراقون ونساخون ومكتبات[1].

د/ صنـــاعـــة الـخـــزف:

من بين المصنوعات التي وُجدت بالمغرب الأوسط نجد الخزف الذي يعرفه إبن المنظور بقوله: « **ما عُمل من الطين و شُوي بالنار فصار فخارا** »[2]، وقد صَنع سكان المغرب الأوسط كثيرا من الأدوات الفخارية التي إستخدموها، فصنعوا القلال والجرة والزير والأبارق، والكثير من الكيزان والكؤوس والأقداح والأطباق والكوانين لمواجهة برد الشتاء، وصنعوا القدور والخوابي لحفظ طعامهم[3] ومما يثبت لنا هذا العثور على بعض الأواني المماثلة البالغة الرقة والمصنوعة من طين غير مطلي في بجاية، كما عُثر بالقلعة على عدة شقفات من الخزف المتعدد الألوان وكانت الزخارف على وجه العموم ذات وجه بني وأخضر أحيانا، ولا شك أن الأواني المنزلية كانت مصنوعة من الطين والنحاس أو الحديد.[4]

وفي حَفرٍ حديث بالقلعة وُجدت أجزاء في الخرائب من بعض القصاع المختلفة الدقيقة الصنع إضافة إلى تحف فنية، مما يوضح أن صناعة الفخار كانت مزدهرة فيها وهذا ما أكده علماء الآثار الغربيون الذين زاروا القلعة واعتبروا أن صناعة الفخار في هذه الفترة قد بلغت مبلغا عظيما[5]، ويمكن إعتبار مقاييس الخزف المعماري كالقرميد الكبير 380 ملم طولا، والقاعدة 178ملم، والسمك 14 ملم أما مقاييس القرميد الصغير فكانت 315 ملم، و القاعدة 165ملم، و السمك15 ملم[6].

كما عُثر ببجاية على قطع من الفخار والراجح أنها كانت تستعمل لصناعة الأواني ومن هذه الأواني صحون كبيرة مسطحة القعر وصحافا وجزرا مزخرفة[7]، كما عُثر بتيهرت على مطامير من

---

[1]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص225.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، مج 9، ص67.

[3]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص118.

[4]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص252.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص225.

[6]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص118.

[7]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص274.

الفخار وقطع فخارية متلاصقة عوجاء مصنوعة من طين أبيض ومزينة على شكل خطوط مستقيمة أو منحنية[1].

هـ/ صنـــاعـات أخـرى:

إلى جانب صناعة السفن والمنسوجات والخزف وُجدت أيضا العديد من الصناعات الأخرى فنجد الإدريسي في حديثه عن بجاية يقول:« ...**وأهلها مياسير و بها من الصناعات والصناع ما ليس لكثير من البلاد...و بها من الصناعات كل غريبة و لطيفة...**» [2]، و من هذا القول يتضح لنا كثرة الصناعات وتعددها ومن بينها صناعة المطاحن[3]، التي وردت في كتابات الرحالة إلا أنهم لم يذكروا شيئا على كيفية صناعتها ولا عن إستعمالها،فنجد المطاحن والأرحية في مجانة[4]التي عُرفت وأُشتهرت بمجانة المطاحن لأن بها حجارة تُستعمل لصناعة الأرحاء ليس على الأرض مثلها[5] وكذلك في مستغانم[6]، ووهران[7]، وتلمسان[8].

كما عَرفت المنطقة صناعة الزجاج ويظهر ذلك من خلال الحفريات التي أُجريت بقلعة بني حماد حيث عثر الأثريون على قطع زجاجية عديدة[9]، منها زجاجات العطور، مما يوضح أن صناعة الزجاج كانت مزدهرة في القلعة، كما عرفت بجاية نفس الصناعة[10]، وشهد المغرب الأوسط صناعة الخمور فقد كان بمرسى الخرز عمال يكثرون الأكل والشرب، وينتبذون نبيذ العسل فيشربونه في يومه ويسكرهم الإسكار العظيم، ويعمل من الصداع مالا يعمله نبيذ الذرة وغيره من الأشربة[11].

---

[1]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص118.

[2]– الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[3]– هي آلة طحن الغلال والحبوب تكون معلقة و مدارات الدواب التي تديرها على الأرض أسفل منها كي لا يسقط روثها على الغلال والدقيق محمد عمارة، المرجع السابق، ص348.

[4]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص84 وما بعدها.

[5]– مجهول، الإستبصار، ص161.

[6]– مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط تبعد عن وهران ب .14فرسخا، وكان لهم حضارة كبيرة وسكان كثيرون، الحسن الوزان، المصدر السابق، ص32؛ أنظر أيضا: مرمول كربخال، المصدر السابق، ص350.

[7]– بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره نون، مدينة على البر الأعظم من المغرب بينها وبين تلمسان سرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر بناها محمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيون سنة (290هـ/903م)، ياقوت الحموي، المصدر السابق مج5، ص385.

[8]– البكري، المصدر السابق، ص 251،252،259.

[9]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 139.

[10]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

[11]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

كما شهد المغرب الأوسط عدة صناعات أخرى مثل صناعة الأصبغة التي سمحت بإنتاج أقمشة مختلفة الألوان، والصناعة الحديدية التي ظهر منها صناعة الأسلحة، والصناعة الذهبية التي نتج عنها إستعمالات متعددة كصناعة النقود والحلي للنساء وكانت مقتصرة على الأثرياء فقط، إضافة إلى صناعة العطور وعصر الزيتون[1].

[1]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص96 و ما بعدها..

المبحث الثالث: التجارة

أولا:

أهم الطرق والمراكز التجارية

ثانيا:

المبادلات التجارية

ثالثا:

الأسواق و النظم التجارية

الـــــتـــجـــارة:

لم يدع الإسلام مجالا من المجالات التي تفيد الإنسان إلا وحثّه عليها، و من هذه المجالات التجارة التي ذُكرت في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾**[1].

وقوله عزّ وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾**[2].

ويعرف ابن خلدون التجارة على أنها: «...**محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص و بيعها بالغلاء...**»[3]، وتعتبر التجارة من أبرز الأنشطة الإقتصادية في المغرب الأوسط وساعدت عدة عوامل على إزدهارها، منها التطور الزراعي والصناعي، والموقع الإستراتيجي والطبيعة الجغرافية للمنطقة التي سمحت بظهور عدة طرق ومراكز تجارية.

أولا: أهـم الـطـرق والـمـراكـز الـتـجـاريـة:

أ/ الـطـرق الـتـجـاريـة:

إشتمل المغرب الأوسط على شبكة واسعة من الطرق والمسالك بين مختلف مدنه وقراه تناولتها كتابات الرحالة بإهتمام كبير، فكان منهم من أعطى مسافات للطرق مقدرة بالأميال ومنهم من أعطاها مقدرة بالمراحل[4] والبعض الآخر بأيام السير، وقد قسمنا الطرق التجارية إلى فرعين :

1- الـطـرق الـداخـليـة :

ذُكرت عدة طرق داخلية تربط بين مدن المغرب الأوسط، منها طريق يسير من مجانة قدره سبع مراحل، نحو باغاي ومنها تتفرع إلى عدة فروع، أولها بإتجاه بونة، أو نحو المسيلة مرورا بقسنطينة وميلة

---

[1]- سورة البقرة، الآية 282.

[2]- سورة النساء، الآية 29.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص477.

[4]- هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة و الجمع مراحل وتقدر المرحلة بـ 24 ميل و مقداره عند المالكية و الحنفية 44.520 كلم، علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص **56**.

وسطيف، أو من باغاي إلى طبنة وصولا إلى تيهرت عبر تسع مراحل، وطريق آخر من تيجس تقدر مسافته بتسع مراحل يمر على المسيلة ويصل إلى أشير، وطريق ثالث يبدأ من المسيلة ليصل إلى بسكرة يبلغ طوله أربع مراحل، وطريق رابع يبلغ طوله 18 مرحلة ينطلق من تلمسان ويمر على عدة مدن من بينها الشلف، تنس، مليانة، أشير، وصولا إلى المسيلة[1]، وطريق آخر طوله عشر مراحل، أهم مدنه مجانة وباغاي وطبنة وصولا إلى المسيلة ليستمر نحو أشير في مسافة قدرها ثلاث أيام[2].

أما في القرن (5هـ/11م) فقد ذُكرت عدة طرق منها طريق ينطلق من المسيلة بإتجاه الغدير نحو سوق حمزة إلى أشير مرورا بمليانة والخضراء وصولا إلى تنس، وطريق آخر من هذه الأخيرة إلى تيهرت قدره 5 مراحل[3]، وطريق ثالث من أشير إلى مرسى الدجاج، وطريق رابع ينطلق من أشير[4] بإتجاه المدية نحو قزرونة إلى أغزر وصولا الى جزائر بني مزغناي، وطريق يسير من تنس يمر عبر الشلف ومليانة ليصل إلى أشير[5].

وذكر الإدريسي عدة طرق في القرن (6هـ / 12 م) منها طريق ينطلق من تلمسان ويمر عبر وادي واروا وقرية تانيت، ليصل إلى وهران ويقدر طوله بمرحلتان[6]،وهو ما وافقه فيه البكري بقوله:« ...**بين وهران وتلمسان مرحلتان**...»[7]، و طريق آخر يخرج من مدينة تنس بمسافة قدرها إحدى عشر مرحلة نحو مدينة المسيلة، وطريق يربط تلمسان بتاهرت بمسافة قدرها 4 مراحل، غير أن ابن خرداذبة (ت280هـ /894 م) قدر مسيرتها بـ 25 يوما[8]، ليستمر الطريق عبر عدة مدن وقرى لينتهي في المسيلة بمسافة تقدر بـ13 مرحلة، إضافة لطريق يسير من بجاية ويمر على 24 منطقة بين مدن وقرى وحصون ليبلغ القلعة، وطريق آخر من قسنطينة إلى بجاية مرورا بعدة مناطق[9].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص84 وما بعدها.

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص 247.

[3]- البكري ، المصدر السابق، ص 239 وما بعدها.

[4]-بكسر ثانيه وياء ساكنة وراء، مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف أفريقية الغربي مقابلة بجاية أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي سنة (324هـ/936م)، وتملكها بعده بنو حماد، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1 ، ص 202.

[5]- البكري ، المصدر السابق، ص 246 وما بعدها.

[6]- الإدريسي ، المصدر السابق، ص 252.

[7]- البكري ، المصدر السابق ، ص 259.

[8]- أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة ، **المسالك والممالك**،(دط)، مطبعة بريل، ليدن، 1989، ص 88.

[9]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 252،255،267.

2- الـــطـــرق الـــخـــارجـيـــة:

تسير من إقليم المغرب الأوسط جملة من الطرق التجارية التي ترتبط مع أقاليم وبلدان خارجية فهناك طريق يربط بين القيروان[1] وتيهرت مسيرته شهر على الإبل[2]، أو تُقدر مسافته بـ 20 مرحلة وطريق ثاني ينطلق من القيروان مسافته 12 مرحلة ويمر بعدة مدن وقرى ليصل إلى المسيلة، وطريق آخر يربط المسيلة ومدينة فاس[3]، يبلغ طوله 27 مرحلة، ومن هذه الأخيرة إلى سجلماسة 13 مرحلة ومسيرة شهرين نحو أدغست ومنها إلى غانة بضع أيام[4].

وذُكرت عدة طرق في القرن (5هـ/11م) منها طريق من القيروان إلى مدينة بونة، وطريق آخر من القيروان ويمر على مدينة غزة وتاجنة ليصل إلى تنس، وطريقان يربطان مدينة وهران بالقيروان الأول مسافته قدرها 25 مرحلة، والثاني يمر عبر قسطيلية طوله 43 مرحلة [5].

كما وردت طرق خارجية في القرن (12/6م) نذكر منها طريق من فاس إلى تلمسان تقدر مسافته بـ9 مراحل، وطريق آخر من تلمسان ويمر بعدة مدن كفاس وأغمات ليصل إلى سجلماسة وهناك طريق آخر كان نادرا ما تسلكه القوافل يبدأ من تلمسان إلى سجلماسة قدره نحو 14 مرحلة[6] أما مع مصر فهناك طريق ساحلي يمر على بجاية وبونة ويعبر على عدة موانئ أهمها سوسة والمهدية وطرابلس فبرقة وصولا إلى الإسكندرية[7]، وقد نشطت التجارة عبر هذا الطريق لأن الطريق البري كان غير مأمون خصوصا بعد الزحف الهلالي[8]. (للمزيد عن الطرق التجارية أنظر الملحق رقم 5-6)

---

[1]- مدينة عظيمة بإفريقية وليس بالمغرب مدينة أجل منها، وهي مدينة مصرت في الإسلام في أيام معاوية رضي الله عنه، وولي عقبة عليها، ياقوت الحموي المصدر السابق، مج 4،ص421.

[2]- ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 79.

[3]- مدينة مشهورة على بر المغرب وهي حاضرة البحر مختطة بين ثنيتين عظيمين، وهي مدينتين متفرقتان، الأولى عدوة القرويين والثانية عدوة الأندلسيين، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 240.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84 وما بعدها.

[5]- البكري ، المصدر السابق ، ص 232 وما بعدها .

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص246 وما بعدها. .

[7]- حسن خضيري، المرجع السابق، ص 99.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص150.

ب/ المراكز التجارية:

1- الداخلية:

إن من أهم المراكز التجارية الداخلية تيهرت التي كانت بها التجارة[1] وافرة مربحة والتجار بها كثيرون[2]، يتبادلون فيها السلع والبضائع الجمة[3].

وكانت قسنطينة هي الأخرى تقع على طريق المواصلات الكبرى الرابطة بين إفريقية وبقية أنحاء بلاد المغرب، وكانت تمثل نقطة تحرك بالنسبة إلى القوافل المتجولة في منطقة الزاب[4]، وكانت المدينة عامرة بالأسواق والتجار، وأهلها مياسير وذو أموال كثيرة[5].

إضافة إلى قلعة بني حماد التي كانت مركز تجاري هام، حيث كان التجار يشكلون فئة معتبرة من سكانها وذلك لشهرتها بمنسوجاتها في جميع بلاد المغرب، فكانت مقصدا للقوافل الآتية من مختلف البلاد[6]، وبها يحل التجار من العراق والحجاز والشام وسائر بلاد المغرب[7].

كما كانت المسيلة آهلة عامرة بالناس والتجار، وكان لمدينة طبنة «...**بضائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات...**» [8]،وكذلك مدينة ورقلة التي كان يقصدها التجار من من بلاد السودان وغيرها من البلدان[9]،كل هذه المراكز السالفة الذكر كانت القوافل بها غادية رائحة فأصبح تجار المغرب الأوسط يجالسون أقرانهم من المغرب الأقصى والصحراء والمشرق[10].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

[2]- مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، ص 134.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 256.

[4]- روبار برنشفيك، المرجع السابق ، ص 420.

[5]- الإدريسي ، المصدر السابق، ص 265.

[6]- موريس لومبار، **الإسلام في مجده الأول**، ترجمة اسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق ، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص108.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص 226.

[8]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 254 وما بعدها .

[9]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 229.

[10]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 219.

2- الـــســـاحـــلـــيـــة:

عرف المغرب الأوسط مراكز تجارية ساحلية هامة، كانت تأتيها البضائع عن طريق السفن التي ترسوا في موانئها حاملة شتى البضائع المختلفة وكان من أهم هذه المحطات تلمسان التي تدخلها السفن وترسوا في جميع الموانئ القريبة منها مثل هنين ووهران[1]، هذه الأخيرة التى يوجد بها مرسى في غاية السلامة والصون[2]،ويقابله من بر الأندلس مرسى إشكوبرش[3]،ونظرا لموقعها الهام كانت بها تجارات مزدهرة[4].

ومن المحطات الساحلية مدينة تنس، التي تعد من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيين بمراكبهم و يقصدونها بتجارتهم ويخرجون منها إلى ما سواها[5]، ولها مرسى صيفي يقابله من بر الأندلس مرسى شنتبول[6]، لذلك كانت كثيرة التجارة[7].

إضافة إلى جزائر بني مزغناي، الواقعة على ساحل البحر فكان التجار يعبرون منها إلى الأندلس[8]،عن طريق مرساها الشتوي المأمون الذى يقابله من بر الأندلس مرسى بنشكله[9]فكانت تجارتها مربحة، والتجار يجنون منها أموال طائلة[10].

كما كانت بجاية من المراكز الهامة ودليل ذلك ما قاله المعافري (ت 543هـ/1148م) «...**فأرفأنا إلى بجاية...ثم خرجنا منها متساحلين...نطوي السباسب طي التجار السبائب...**» [11]، وكان

---

[1]- نيقولا زيادة، **الجغرافيا و الرحلات عند العرب**، (دط)،دار الكتب اللبناني للنشر، بيروت، لبنان، 1987م، ص75.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 267.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 252.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 267.

[7]- مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص 194.

[8]- المقدسي، المصدر السابق، ص 228.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص 268.

[10]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 258.

[11]- أبو بكر محمد عبد الله المعافري، **ترتيب الرحلة للترغيب في الملة**، تح: سعيد اعراب، ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان 1987، ص 196.

مرساها مأمون شتوي تدخله السفن محملة بالبضائع من جميع الأقطار، وخاصة من الأندلس[1]،كما كان لهذه المدينة علاقات تجارية مع بلاد الروم ومصر واليمن والهند والصين وغيرها من البلدان[2].

ولم تكن جيجل أقل منهم شأنا فقد كان بها مرسى قديم عامر بالتجار والتجارة[3]، وما لبثت أن تطورت، فأصبح بها مرسيان أحدهما في جهة الجنوب وهو مرسى وعر ويصعب على السفن الدخول إليه، أما مرسى الشمال فهو ساكن الحركة حسن الإرساء لكنه صغير[4]، إضافة إلى مدينة بونة المقصودة ذات التجارة الزاهرة المربحة، المعروفة بمرساها الذي يسمى مرسى الزقاق، وهو من المراسي المشهورة[5]،كما تعد مدينة مرسى الخرز مركزا تجاريا لا نظير له، حيث كان للتجار بها أموالا كثيرة يقصدون مرساها من جميع البلدان لشهرتها بالمرجان فيرسوا بها حوالي 50 قاربا[6].

ثانيا: المبادلات التجارية

تُجمِع كتب الرحلة والجغرافيا على أن هناك مبادلات تجارية هامة شهدها المغرب الأوسط خلال فترة دراستنا، سواءًا الداخلية فيما يخص مختلف مدن المغرب الأوسط، أو الخارجية التي ربطته بدول المغرب الأدنى والأقصى والأندلس والمشرق، ونظرا لشهرة بلاد المغرب الأوسط في الإنتاج النباتي والحيواني فإن المبادلات كانت بالدرجة الأولى تعتمد على هذا الإنتاج.

أ/ المبادلات الداخلية:

أورد الرحالة الكثير من الإشارات التي تتمحور حول المبادلات التجارية، إلا أنهم لم يحددوا في الكثير من الأحيان وُجهة المواد المصدرة أو المستوردة وإنما إكتفوا بذكر أنواعها، فكان بسوق إبراهيم «...**فواكه و تين يجهز عنها**...» ، وبمدينة بونة العسل والخير ما يزيد عنها، وبها معادن الحديد الذي يحمل منها إلى الأقطار المجاورة لها، أما بمرسى الخرز فكان يُجذب إليها مما يجاورها محاصيل زراعية وفواكه وغيرها، لأنها كانت قليلة الزرع، ويرجع ذلك ربما لإنشغال أهلها بصيد المرجان، أما

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص268.

[2]- مجهول ،الإستبصار، ص130.

[3]- البكري ، المصدر السابق، ص269.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص268.

[5]- مجهول، الإستبصار، ص127.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

مرسى الدجاج فَتُحمل منها المواشي والقمح والفواكه والمآكل إلى ما جاورها من المدن[1]، ويُحمل التين منها على شكل شرائح طوب إلى سائر المدن والأمصار[2]، وكانت مدينة قزرونة هي الأخرى يحمل منها الكتان لأنها كانت أكثر البلاد إنتاجا له[3]، وكان سمك المسيلة يُصطاد ويُحمل إلى قلعة بني حماد وكذلك السمن والعسل بجزائر بني مزغناي كانا يحملان إلى سائر البلدان المجاورة، وكان الزيت البالغ الجودة والقطران يجلب إلى بجاية من سائر أقاليمها المحيطة بها[4]،والفواكه كالعنب تحمل من جيجل إلى إلى بجاية، كما كان معدن الشب يُؤخذ من ورقلة إلى جميع البلدان، والجوز يُحمل من نقاوس إلى قلعة بني حماد وبجاية وغيرها[5].

ب/ الـمبـادلات الـخـارجـيـة:

يتضح من خلال كتابات الرحالة أن المبادلات التجارية الخارجية كانت متنوعة، وذلك لتوفر المغرب الأوسط على عدة إمكانيات من بينها كثرة المراسي التي مكنت ربط علاقات تجارية متينة مع الكثير من الدول.

فكان الأندلسيون يقصدون مدينة تنس للتجارة، والسلع بها صادرة وواردة[6]،كالحبوب التي تخرج منها إلى كل الجهات في مراكب[7]،والطعام الذي يُحمل منها إلى الأندلس وإفريقية والمغرب وذلك لكثرة الزرع عندهم[8]،وكان العسل والتين والسمن يُحمل من جزائر بني مزغناي ويُؤخذ إلى القيروان وغيرها، كما كان سفرجل المسيلة يحمل إليها أيضا[9].

إضافة إلى مدينة بونة التى كان معظم تجارها أندلسيين، مما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة والسلع متبادلة بين المنطقتين، وكانت تلمسان هي الأخرى مقصد التجار[10]،وربما ذلك راجع إلى أنهم

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص77،89.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص259.

[3]- البكري ، المصدر السابق، ص247.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص254 وما بعدها.

[5]- مجهول، الإستبصار، ص 128،178،224.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص251.

[8]- مجهول، الإستبصار، ص133.

[9]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص78، 85.

[10]- البكري، المصدر السابق، ص ص 233،259.

كانوا يأخذون منها الصوف وأسلة سروج الخيل إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس[1].

ومما زاد في نشاط التجارة الخارجية للمغرب الأوسط عاصمة بني حماد الجديدة بجاية، ويتضح هذا جليا من خلال قول الإدريسي « ...**وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا، والسلع مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير...يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء والمشرق...**» [2].

ولم يقتصر التبادل التجاري على السلع المذكورة بل تعداها إلى سلع أخرى فكان يَرِد إلى مصر من بلاد المغرب الأوسط الحديد والزعفران اللذان كانا يُحملان من بونة[3]، وكان تمر بسكرة المعروف باللّياري يُمنع تداوله داخليا ويُبعث إلى القيروان وذلك لطيبه وحُسنه وجودته، وكانت جميع أغنام مدن المغرب الأوسط تُصدر إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحمها، ومعدن العقيق يؤخذ من ورقلة إلى بلاد غانة[4]، كما كان تجار ورقلة يتجولون في جميع بلاد السودان فيخرجون منها التبر[5] ويضربونه في بلادهم بإسم بلدهم[6].

وأُخذ من بسكرة التمر والملح إلى بلاد السودان، وحُمل من المغرب الأوسط بصفة عامة الحرير والحديد والزئبق والرصاص واللوز والبرقوق والذهب والعسل إلى المشرق، كما صُدر إلى بلاد الروم الصوف والجلود والشمع والزيت والمرجان وريش النعام، وكذلك الحبوب مثل القمح والشعير والثمار كالتين، إضافة إلى العبيد والذهب المجلوبون من بلاد السودان[7].

ووَردت لبلاد المغرب الأوسط سلع منها قصب السكر والزعفران والحرير واللازورد والياقوت الأحمر والورق والسجاد والسلاح من الأندلس، والرخام والملابس والتحف والكتب وماء الورد من المشرق[8].

---

[1]- الزهري، المصدر السابق، ص114.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[3]- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص114.

[4]- مجهول، الإستبصار، ص173،178،224.

[5]- ما كان غير مضروب من الذهب و الفضة، و هو كل جوهر قبل أن يستعمل كالنحاس و الصفر، أبي الفتح ناصر الدين المطرزي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تح محمود فاخوري وآخرون، ج1، ط1، مكتبة أسامة بن زيد للنشر، حلب، سورية 1979 ص100.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 296.

[7]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص218 و ما بعدها.

[8]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص233.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلاقات التجارية قد نشطت خلال الدولة الفاطمية بين مصر وبلاد المغرب، وذلك نتيجة لخضوعها لسلطة سياسية واحدة وهذا ما زاد في تسهيل حركة التجار[1]، أما العلاقات التجارية بين الدولة الحمادية والجمهوريات الإيطالية كانت تبدوا ضئيلة، بينما كانت مع الأندلس حسنة جدا[2]، وفي عهد الدولة الموحدية قَوِيَ إتصال المغرب بالمشرق تجاريا برا وبحرا ونظمت التجارة الأوربية مع المغرب تنظيما دوليا، مما أدى إلى عقد معاهدات تجارية مع جمهورية جنوة سنة (548هـ/1153م)، ومعاهدة سنة (555هـ/1160م) لضمان حرية التجارة لرعايا جنوة برا وبحرا[3].

ويتبين لنا من خلال إطلاعنا على كتب الرحلة أنه خلال القرن الرابع هجري كانت الأندلس والمدن الأوربية هي الأكثر تعاملا مع المغرب الأوسط، ولكن خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تنوعت هذه التعاملات وعرفت أوج إزدهارها، إذ لم يقتصر التعامل مع الدول الإسلامية والمسيحية بل تعدتها إلى الهند والصين وغيرها من الأمصار البعيدة.

ثالثا: الأسواق والنظم التجارية

أ/ الأسواق:

مما لا جدال فيه أن الرخاء الإقتصادي وتوفر المنتوجات في المغرب الأوسط قد سمح ببيع الفائض في الأسواق التي يعرفها ابن منظور بقوله:« **موضع البياعات لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها**[4]»، فهي تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري كالحبوب مثل الحنطة والشعير ومنها الكمالي مثل الفواكه والملابس والمراكب وسائر المصنوعات[5]، ومن شروط قيام هذه الأسواق الأمن والعدل، فينبغي للمسؤولين أن يتحروا العدل وأن ينظروا في أسواق رعيتهم، ويضعوا من يثقون فيهم ليراقبوا الموازيين والمكاييل، فمن وَجدوه غَيّر من ذلك شيئا عاقبوه على قدر جرمه[6].

---

[1]- حسن خضيري أحمد، المرجع السابق، ص 105.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 332.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، مج 10، ص168.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص441.

[6]- يحي بن عمر الأندلسي، **أحكام السوق**، تح: محمود علي مكي، (دط)، معهد الدراسات الإسلامية للنشر، مدريد، 1956، ص45.

ومن خلال إطلاعنا على كتب الرحلة تبينَ لنا وجود نوعين من الأسواق كانت تنظم المجال الإقتصادي في المغرب الأوسط، وكانت موجودة في كل مدينة وقرية ، وبما أن هذه الأسواق تمثل المركز الإقتصادي للمدن فقد كان يتردد عليها مختلف عناصر المجتمع.

فالنوع الأول هي الأسواق الأسبوعية التي كانت تُقام في يوم معين من أيام الأسبوع، وكانت تُعرف بإسم ذلك اليوم مثل سوق الأحد، وسوق الإثنين، وسوق الخميس، الواقعين في الطريق بين بجاية وقلعة بني حماد، وسوق يوم الجمعة الموجود بحصن كزناية الذي يقصده أناس كثيرون في هذا اليوم، إضافة إلى سوق تُقصد في يوم معلوم من كل جمعة بقرية ريغة، وسوق بني زندوي المتواجد في الطريق بين قسنطينة وبجاية، يقصدونه الناس أيضا يوم الجمعة[1].

وهناك أسواق أسبوعية أخرى لم تقف كتب الرحلة عن ذكر يومها، فكان بمدينة أشير« ...**سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيفة ويباع به كل طريفة**...» ، إضافة الى مازونة التي يوجد بها سوق بيوم معلوم يجتمع إليه أصناف من الناس للتسوق، تباع فيها الفواكه و الألبان والسمن و العسل[2].

أما النوع الثاني من الأسواق فهي الأسواق اليومية، التي كانت موجودة بصفة دائمة في كل المدن التي ذكرها الرحالة، وأشاروا إلى أنها موجودة بكثرة لكن لم يوضحوا لنا أكانت يومية أم لا، والراجح أنها كانت كذلك، حيث وُجدت ببونة، وجزائر بني مزغناي، وباغاي التي كان بها أسواق قديمة العهد وأخرى حديثة، إضافة لوُجودها بمجانة وأشير[3]، وانتشرت في عدة مدن مثل مرسى الخرز، الغدير تنس، قسنطينة، ميلة، الشلف، سطيف، تلمسان[4]، وهران، و الخضراء التي بها «...**سوق يجتمع إليه أهل تلك الناحية**...» ، و كذلك بتيهرت ونقاوس ومازونة[5].

وإلى جانب هذه الأسواق فقد أشارت كتب الرحلة إلى وجود حوانيت كانت هي الأخرى تباع فيها السلع، فكان بقرية أوسجيت بعض الحوانيت لبربر كتامة[6]،إضافة لوجودها بقرية بني وازلفين[7]

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص253 و ما بعدها.

[2]- نفسه، ص 251،256،272.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77،84،89.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص234 وما بعدها .

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 252 وما بعدها.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص251.

وهكذا كانت مدن المغرب الأوسط تشتمل على عدة أسواق، منها ما يُعرف بإسم اليوم الذي تُعقد فيه، ومنها ما يحمل إسم مؤسسها مثل سوق حمزة وسوق إبراهيم وسوق عبيدون، ومنها ما تُنسب إلى السلعة المعروفة بها مثل سوق الجمال وسوق الغزل[1].

ب/ الـــــنـــظـم الـــــتـــجـاريـــة:

1- أهـــم الـــمســـكـوكـات:

يعرف ابن خلدون السكة بأنها الختم على الدنانير[2]، والدراهم[3]، المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة و يكون التعامل بها عددا أو وزنا[4]، وتُعد المسكوكات صفحة كاشفة عن الدول المتعاقبة على أي منطقة، لأنها تتصل بإقتصادها وسائر أوضاعها[5].

والمتمعن في كتب الرحلة يجد أنها لم تشر بتاتا عن المسكوكات في المغرب الأوسط ولا عن كيفية ضربها، إلا أننا سنحاول تغطية هذا الجانب من خلال مصادر أخرى.

عرفت الدولة الفاطمية منذ ظهورها سكة عبد الله الشيعي، التي أمر بضربها ولم ينقش فيها إسما لأحد، وقد كتب في الوجه" **بلغت حجة الله**"، ومن وجه آخر "**تفرق أعداء الله**"، ونقش سكة جعل فيها مكان ذلك" **الحمد لله رب العالمين**"[6]، وسميت هذه السكة بالسيدية[7]، وقد حملت العملة الفاطمية شعارات مذهبية مختلفة مثل" **محمد رسول الله**"، "**علي ولي الله**" "**وعلي بن أبي طالب وصي رسول الله، نايب الفضول وزوج الزهراء البتول**" و "**علي أفضل الوصيين و وزير المرسلين**"[8].

---

[1]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص241 و ما بعدها.

[2]- إسم للقطعة من الذهب المضروبة المقدرة بالمثقال، و الدينار هو المثقال من الذهب، علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص19.

[3]- في اللغة إسم لما ضرب من الفضة على شكل مخصوص، وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة معلومة الوزن، وأصل الدرهم من اليونانية دراخما نفسه، ص19.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص322.

[5]- صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر،الجزائر،1986 ص14.

[6]- القاضي النعمان، المصدر السابق، ص250.

[7]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص159.

[8]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص379.

أما الحماديون على طول فترة حكمهم إستعملوا نقود الدولة الفاطمية وكذا العباسية بما كانت تحمله من نصوص وكتابات تشير إلى شعارات هذه الدول[1]، وإستمرت هذه التبعية إلى غاية يحي بن عبد العزيز (ت547هـ/1152م)، الذي ضرب دينار يحمل ثلاث سطور ودائرة في كل وجه ونقش عليها في الوجه الأول" **و إتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**" وفي السطور" **لا إله إلا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور**" ودائرة الوجه الآخر" **باسم الله الرحمان الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة**" وفي سطوره" **الإمام أبو عبد الله المقتضي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي**"[2].

وكانت العملة الرئيسية للدولة المرابطية هي الدينار الذهبي الذي كان عماد الإقتصاد في الدولة وقد ضلت هذه العملة مستخدمة لعدة قرون حتى بعد سقوط الدولة[3]، وقد حملت مسكوكاتهم شعارات دلت على إرتباطهم الوثيق بمذهب أهل السنة فنجد الآيات القرآنية مثل" **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**" ،كما ظهرت أسماء ولاة العهد منذ عهد يوسف بن تاشفين، وإستمر هذا التقليد متبعا في عهد خلفاءه،كما ظهرت البسملة كاملة على الدنانير في كتابة هامش الظهر منذ عهد علي بن يوسف[4].

وظهرت في عهد الموحدين الدراهم المربعة الشكل التي سنها لهم المهدي ابن تومرت، الذي نُعت بصاحب الدرهم المربع، فكانت عبارات الحمد والتهليل في الجانب الأول، وفي الجانب الآخر إسمه وولاة العهد من بعده[5]، ليأتي عبد المؤمن بن علي و يُغير الدرهم الفضي بالدينار الذهبي، ومن الشكل المربع إلى المستدير، فنقش إسمه على هذا الدينار وحافظ على إسم المهدي ومكان ضربه وعلى الوجه الآخر البسملة والتوحيد والصلاة على النبي "صلى الله عليه وسلم"[6].

---

[1]- خيرة زيتوني، **الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية المغربية من القرن (2-7هـ/8-13م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، الجزائر2، 2011/ 2012، ص63.

[2]- ابن خلدون، العبر، ص235.

[3]- حموي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص319.

[4]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص589.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص324.

[6]- إبتسام مرعى خلف الله، **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي**، (دط)، دار المعارف للنشر، الإسكندرية،مصر، 1985 ص201.

2- الأســعــار:

تخضع الأسعار لعدة عوامل تؤثر فيها، من بينها سياسة الدولة الإقتصادية، كإحتكار السلع وتخزينها، وإنخفاض العرض والطلب والمكوس الباهضة، إضافة إلى الحروب والأزمات والنكبات[1].

وقد شهد المغرب عامة بين الحين والآخر إرتفاعا وإنخفاضا في الأسعار، ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة مست المغرب الأوسط ففي سنة (303هـ/945م) إرتفعت الأسعار حتى وصل مد القمح ثلاثة دنانير، وفي سنة (380هـ/990م) إنخفض سعر القمح حتى أصبح الناس لا يحصدون لوفرته وإستمر هذا الرخاء إلى أواخر سنة (381هـ/991م)[2]، أما في سنة (395هـ/1005م) غلت الأسعار لكن ما لبثت أن كثر الخصب ورخصت الأسعار سنة (396هـ/1006م)، وفي سنة (512هـ/1118م) شهد المغرب الأوسط غلاءا عظيما، حتى بلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهما[3].

أما بالنسبة لكتب الرحلة فلم تذكر أسعار المواد، وإكتفت بالتعليق على رخصها أو غلائها بالمدن، فكان ببونة « ...**خصب ورخص موصوف**...» ، إضافة إلى رخص الأسعار بمرسى الدجاج[4]، وكانت المسيلة رخيصة السعر، أما الغدير فهي رخيصة الطعام واللحم، وجميع الثمار[5] ولحوم تلمسان حسنة رخيصة الأسعار، وأسعار السمن والزبد والبقر والغنم بوهران رخيصة تباع بالثمن اليسير، وكانت الحنطة بالقلعة رخيصة، والفواكه واللحوم تباع بالثمن اليسير بمرسى الدجاج وشهدت تدلس رخص أسعار الغنم والبقر، أما بجاية فكان بها الفواكه وجميع النعم رخيصة، و الجوز يباع بالثمن اليسير بسطيف[6]، و العمائم تباع بثمن غال ببجاية ،كما عرفت عدة مدن أخرى رخص الأسعار مثل تنس، ندرومة، ميلة ، مليانة، وتلمسان[7].

---

[1]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص158 وما بعدها.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 98،102،115.

[3]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص ص 307،357.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص ص 239-240.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص248 وما بعدها.

[7]- مجهول، الإستبصار، ص129 و ما بعدها.

3- المكاييل و الموازين و المقاييس:

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾**﴾[1].

لدراسة النشاط الإقتصادي عامة، و التجاري خاصة، تطلب منا الرجوع إلى النظم التي كان يستخدمها سكان المغرب الأوسط في تعاملاتهم اليومية وفي شراء بضائعهم ومستلزماتهم.

✓ **المكاييل:**

الكيل و المكيال إسم يعم جميع ما تُعاير به المكيالات، والكيل أصله مصدر كال الطعام وغيره[2] و المكيال الصحيح ما إستوى أعلاه وأسفله في الفتح والسعة، وأن يكون بعضه داخلا أو خارجا ويكون مشدودا بالمسامير لألى يصعد فيزيد أو ينزل فينقص[3].

كانت المكاييل المتعامل بها بين سكان المغرب الأوسط القادوس، وهو من المكاييل التي كان سكان تنس يستعملونها، وكيلهم 48 قادوسا والقادوس ثلاث أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم[4] إضافة إلى المد وقد سمي مُدًا لأنه قدر ما تمتد إليه اليدان من العطاء، أو لأنه ملء كفي الإنسان إذا ملأها[5]، فكان مد أهل تيهرت الذين يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية، وكيل أهل أرشقول[6] ستون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم، ويسمونه عمورة[7]، ومن المكاييل أيضا الصحفة وجمعها صحاف، و هي القصعة العريضة و إناء الطعام وسعتها 12 مدا[8]، ذُكر بمدينة تنس[9]، إضافة إلى وجود مكاييل أخرى مثل:

---

[1]- سورة هود، الآية 85.

[2]- أبو العباس أحمد العزفي السبتي، **حقيقة الدينار و الدرهم و الصاع و المد**، تح: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي، الامارات 1990، ص125.

[3]- محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تح: محمد حسين إسماعيل وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت لبنان، 2003، ص371.

[4]- البكري، المصدر السابق، ص244.

[5]- السبتي، المصدر السابق، ص126.

[6]- مدينة لها مرسى و يعتبر هذا المرسى ساحلا لتلمسان، إتخذها العلويين مستقرا لهم، الطاهر طويل، المرجع السابق، ص343.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص ص 250،261.

[8]- محمد عمارة، المرجع السابق، ص 326.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص 224.

الصاع[1]، القفير[2]، الويبة[3]، و غيرها[4].

✓ **الموازين:**

إتخذ الناس في المغرب الأوسط وحدات خاصة للأوزان، منها الرطل وهو معيار يوزن به كما أنه مكيال أيضا مقداره 382.5 غراما[5]، ذُكر بمدينة تنس حيث كان رطل اللحم بها 67 أوقية[6] ورطل سائر الأطعمة 22 أوقية، غير أن رطل اللحم في تيهرت خمسة أرطال، و كان رطل مدينة أرشقول 22 أوقية، و من الأوزان المتعامل بها الدرهم حيث نجد أن درهم تنس يساوي 12 صقلية عددا ويتفرع عنه ربع الدرهم ، أما درهم أرشقول فيساوي 8 خراريب والخروبة 4 حباة[7].

ومن الموازين أيضا القيراط وهو جزء من أجزاء الدينار ومقداره عند الجمهور0.71 غراما[8]وكان التعامل به في تنس ووزنه ثلث درهم عدل بوزن قرطبية[9]، إضافة إلى التعامل بالقنطار الذي يرجع أصله في لسان العرب إلى جملة الكثير من المال[10]، فكان أهل الغدير يتعاملون بالقنطار، وقنطار العنب عندهم بدرهم، وكان قنطار الزيت بتيهرت قنطاران غير ثلث، وقنطار الفلفل المستورد يعادل قنطار عدل[11].

إضافة إلى موازين أخرى كالمثقال[12]، والمن[13]، وغيرها[14]، وكان التعامل بهذه الوحدة الأخيرة في تلمسان حيث وُجد بها كساء وزنه 9 أواق أو أكثر[15].

---

[1]- مكيال لأهل المدينة مقداره عند الجمهور 2.04كلغ، علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص30.

[2]- من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها لإختلاف الإصطلاح فيها، تقدر عند المالكية ب48 صاع و عليه فهي تساوي 98كلغ، نفسه ص39.

[3]- كيل مصري معروف وهي تساوي كيلتين ومقدارها 33 لترا، نفسه، ص42.

[4]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 185 وما بعدها.

[5]- علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص29.

[6]- من أشهر الموازين مقدارها 40 درهما، علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص21.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص 261،250،244.

[8]- علي جمعة محمد، المرجع السابق، ص23.

[9]- البكري، المصدر السابق، ص 244.

[10]- السبتي، المصدر السابق، ص143.

[11]- البكري، المصدر السابق، ص ص 240،250.

[12]- إسم لما ثقل صغر أو كبر، وهو إسم للمقدار و الوزن، وهو كذلك إسم للسنج التي يوزن بها ثم صار إسما للدينار ومقداره 24 قيراطا، محمد عمارة، المرجع السابق، ص551.

[13]- لغة مأخوذة من المنا الذي يوزن به ومقداره رطلان و 260 درهما، نفسه، ص28.

[14]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص181 و ما بعدها.

[15]- الزهري، المصدر السابق، ص114.

✓ **المقاييس:**

تنقسم المقاييس إلى ثلاث أنواع، منها مقاييس الأبعاد مثل الذراع[1]، والقبضة[2]، والأصبع[3] والشبر، ومقاييس المسافات مثل الميل والفرسخ واليوم والمرحلة، ومقاييس المساحات مثل الزوج وهو المساحة التي يحرثها ثوران في فصل[4].

ولا تكاد كتب الرحلة تخلوا من هذه المقاييس السالفة الذكر، فنجد أن بين مقرة والمسيلة مرحلة[5]، وأن سور مدينة أرشقول 8 أشبار[6]، وسمك المسيلة مقداره من شبر إلى ما دونة، ومابين مرسى الخرز و بونة في البحر 24 ميلا[7]، وبين بجاية و قلعة بني حماد أربعة أيام[8].

[1]- بسط اليد ومدها وأصله من الذراع وهو الساعد، وهو بين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى مقداره عند المالكية 53 سم، علي جمعة محمد المرجع السابق، ص50.

[2]- مقدارها أربع أصابع، عند المالكية 5.888 سم، نفسه ص51.

[3]- يراد بها الجارحة، مقدارها عند المالكية 1.472سم، نفسه ص52.

[4]- رشيد بورويبة، ص ص 148-149.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[6]- البكري، المصدر السابق، ص 261.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 254،291.

[8]- مجهول، الإستبصار، ص130.

الخاتمة

الـــخـــاتـــمـــة:

توصلنا من خلال دراستنا لموضوعنا إلى عدة نتائج راجين أن نكون على قدر ما قدمناه من جهد و إهتمام لإنجاح هذا البحث فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، و هذه النتائج يمكن حصرها فيما يلي:

– تعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط ضمن خارطة المغرب الإسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها لعدم إستقرارها على وضع معين، وذلك راجع لجملة من العوامل الطبيعية و السياسية والقبلية جعلت حدوده غير ثابتة في الفترة الوسيطية.

– تنوعت التركيبة البشرية التي إستوطنت المغرب الأوسط من قبائل البتر والبرانس، وتفرعت عنهما عدة قبائل منها زناتة،كتامة، صنهاجة ،عجيسة، أزداجة ووزداجة، غير أن هذا التمركز لم يكن ثابت وذلك راجع لتنقل تلك القبائل من منطقة إلى منقطة نتيجة للأوضاع السائدة في تلك الفترة.

– شهد المغرب الأوسط عدة دويلات تعاقبت على حكمه في الفترة المدروسة كان لكل منها دورها البارز في دفع حركة النشاط الإقتصادي.

– تتضح ملامح البنية الإقتصادية للمغرب الأوسط من خلال الإمكانيات المتنوعة التي شكلت دعائما قوية للقطاعات المنتجة والتي شملت الزراعة والصناعة وسائر الأنشطة التجارية الأخرى.

– توفر المغرب الأوسط على عدة عوامل طبيعية وبشرية مكنته من مزاولة النشاط الزراعي، حيث تنوعت الحاصلات الزراعية وما إتصل بها من ثروة حيوانية في فترة دراستنا غير أننا نلمس تذبذبها بين الحين و الآخر وتراجع رهيب في إنتاجها خلال القرن (5هـ/11م) وهذا راجع للكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة التي أصابت المنطقة إظافة إلى أثر الهجرة الهلالية.

– أما في المجال الصناعي فقد إتضح من الدراسة تظافر عدة عوامل ساعدت على تطوير الصناعة منها وفرة المعادن (الحديد، النحاس، الفضة، الجص، الملح، الأثمد)، و إتساع العمران الذي له روابط وطيدة بإرتقاء الصناعة، وسياسة الدول المتعاقبة لتشجيع هذا القطاع، كل هذه العوامل مكنت من بروز عدة صناعات كصناعة السفن والخزف والصناعة النسيجية وغيرها، ولكن الملاحظ أن كتب الرحلة لم تتطرق بإسهاب لهذا المجال غير بعض الإشارات والنصوص التي وقفنا عليها.

– وإتضح من الدراسة للتجارة إمتلاك المغرب الأوسط لشبكة من الطرق التجارية داخلية وخارجية ربطت مدنه فيما بينها وبالعالم الخارجي، كما عرف عدة مراكز تجارية داخلية وساحلية هامة مثل تاهرت وقسنطينة والمسيلة، وتلمسان وجزائر بني مزغناي وبجاية، كل هذه المراكز كان يقصدها التجار من مختلف الجهات.

– أما عن قائمة السلع والبضائع الواردة والصادرة من المغرب الأوسط فكانت قائمة واسعة عددتها لنا كتب الرحلة، غير أنها لم تبين في غالب الأحيان وجهاتها وإكتفت بالتعليق على أنها تخرج لمختلف الأقطار، لكن الملاحظ أنه خلال القرن (4هـ/10م) كانت الأندلس والمدن الأوربية هي الأكثر تعاملا مع المغرب الأوسط، أما خلال القرنيين (5-6هـ/10-12م) فتنوعت هذه التعاملات وتعدت إلى غاية الهند والصين وغيرها من الأمصار البعيدة.

– عرف المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلة نوعين من الأسواق، أسبوعية وأخرى يومية ساهمت في دفع عجلة النشاط التجاري.

– عرفت المنطقة عدة مسكوكات، منها النقود التي سكها عبد الله الشيعي وإستمرت هذه العملة إلى سقوط الدولة الفاطمية، أما الحماديون فإستعملوا نقود الفاطميين والعباسيين، وإستمرت هذه التبعية إلى غاية آخر ملوكهم، أما المرابطيين فقد تنوعت مسكوكاتهم وكانت العملة الرئيسية هي الدينار الذهبي، كما إختلفت شعارات العملة من خليفة للآخر في عهد الموحديين.

– شهدت الأسعار في هذا المجال الجغرافي إنخفاضا وإرتفاعا أحيانا، وهو ما أفادتنا به كتب الرحلة حيث إكتفت في معظم الأحيان بالتعليق عليها دون ذكر لأسعارها، كما تنوعت المكاييل والموازين والمقاييس التى إستعملها سكان المغرب الأوسط في تعاملاتهم اليومية.

وعلى الرغم مما وقفنا عليه من نتائج حول الأوضاع الإقتصادية للمغرب الأوسط، إلا أن هذه الدراسة تبقى محاولة متواضعة، وندعوا الله أن نكون قد وفقنا في مجهودنا المبذول راجين منه تعالى أجر الإجتهاد.

وبالله التوفيق.

الـــمـــلاحـــق

الـملـحق رقـم (01):

إنتاج الحبوب و الفواكه و تربية الحيوانات في أهم مدن المغرب الأوسط من خلال إبن حوقل القرن (4هـ/10م)

المدينة	الحبوب	الفواكه	تربية الحيوانات
بونة	القمح و الشعير	بها فواكه	الغنم- الماشية- الدواب البقر- النحل
مرسى الدجاج	القمح و الشعير	التمر و التين	المواشي
جزائر بني مزغناي		التين	النحل- الغنم- البقر
شرشال	الحنطة و الشعير	فواكه- سفرجل أعناب	النحل و المواشي
تنس		بها فواكه و سفرجل	
قصر الفلوس	القمح و الشعير		المواشي
وهران		بها فواكه	
طبنة	الحنطة و الشعير		الغنم و البقر
المسيلة	الحنطة و الشعير	الكروم و السفرجل	الدواب- الغنم- البقر
تيهرت			الغنم- الماشية- الدواب البقر- البراذين
الخضراء		فواكه و سفرجل	

- إبن حوقل، المصدر السابق، ص77 و ما بعدها.

الملحق رقم (02)

إنتاج الحبوب و الفواكه و تربية الحيوانات في أهم مدن المغرب الأوسط من خلال البكري القرن (5 هـ/11م)

المدينة	الحبوب	الفواكه	الحيوانات
باغاية		بها ثمار	
بسكرة		النخل- الزيتون- مختلف أصناف الثمار و العديد من أجناس التمور	
تامديت	الحنطة		
بونة		بها ثمار	النحل- الحوت- البقر
المسيلة			المواشي
الغدير		فواكه و عنب	المواشي
تاهرت		الزيت	المواشي
تهودا		بها ثمار	
أرشقول			المواشي

- البكري، المصدر السابق، ص227 و ما بعدها.

الملحق رقم (03)

إنتاج الحبوب و الفواكه و تربية الحيوانات في أهم مدن المغرب الأوسط من خلال الإدريسي القرن (6هـ/12م)

المدينة	الحبوب	الفواكه	الحيوانات
تلمسان		بها فواكه	المواشي
تنس	الحنطة و حبوب كثيرة	الفواكه و السفرجل	
وهران		بها فواكه	النحل- البقر-الغنم
بنو وازلفن		الكروم	
الخضراء		الكروم و السفرجل	
المسيلة	القمح و الشعير	بها فواكه	الخيل-الأغنام-الأبقار
قلعة بني حماد	الحنطة	بها فواكه	المواشي
تيهرت		بها فواكه	الخيل-الغنم-البقر النحل-البراذين
برشك	الحنطة و الشعير	بها فواكه	
شرشال		بها فواكه	
جزائر بني مزغناي	الحنطة و الشعير		المواشي-البقر-الغنم النحل
مرسى الدجاج	الحنطة	بها فواكه و تين	المواشي
بجاية	الحنطة و الشعير	الفواكه- الزيت- التين	المواشي
طبنة	الحنطة و الشعير	الفواكه - التمر	
نقاوس		الجوز	
قسنطينة	الحنطة و الشعير		النحل — المواشي
مازونة		بها فواكه	المواشي — النحل
بونة	القمح و الشعير	بها فواكه	النحل- المواشي- البقر

- الإدريسي، المصدر السابق، ص248 وما بعدها.

الملحق رقم (4)

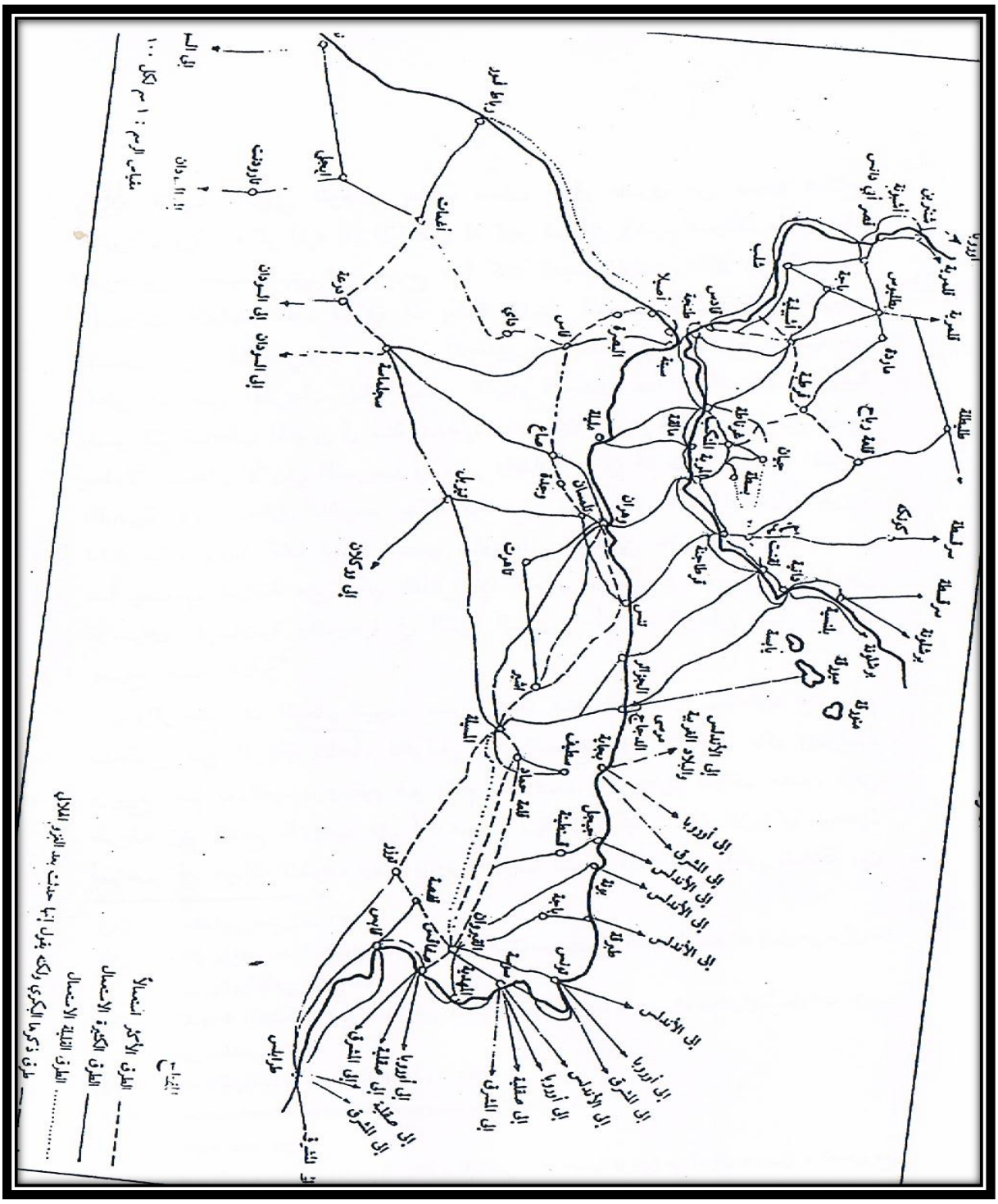
أهم مراسي المغرب الأوسط من خلال البكري (ق 5هـ/11م)

المرسى	وصفه
مرسى جبل وهران	مرسى كبير شتوي سكن من كل ريح
مرسى عين الفروخ	مرسى شتوي مأمون و له آبار ماء
مرسى مغيلة بني هاشم	مرسى صيفي لا يكن من ريح
مرسى تنس	و هو صيفي يكن بشرقيه و غربيه
مرسى شرشال	له أحساء ماء يكن بشرقيه و غربيه
مرسى جزائر بني مزغنى	و هو مرسى مأمون شتوي
مرسى الدجاج	صيفي غير مأمون
مرسى بجاية	مرسى مأمون شتوي
مرسى جيجل	فيه آثار للأول وهو معمور
مرسى القل	
مرسى بونة	و هو مرسى منيع

- البكري، المصدر السابق، ص266 وما بعدها

الملحق رقم (5)

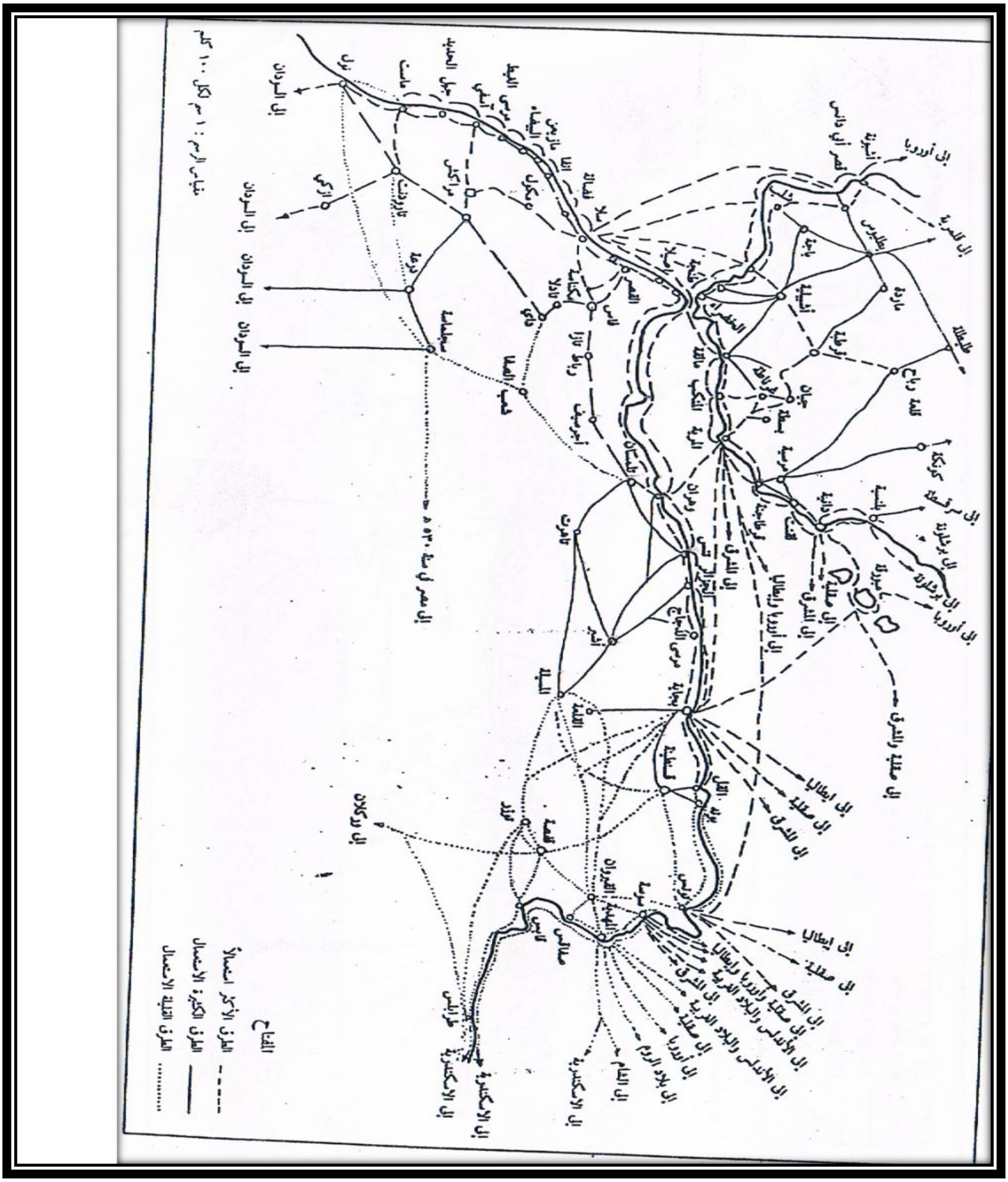
الطرق التجارية في المغرب الأوسط و تفرعها قبل الغزو الهلالي (ق5هـ/11م)



أنظر: عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي، ص307.

الملحق رقم (6)

الطرق التجارية وتفرعها في المغرب الأوسط خلال النصف الأول من القرن (6هـ/12م)



أنظر: عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي، ص309.

قائمة

المصادر

و المراجع

قـائمـة الـمصـادر و الـمـراجــع:

– الــقــرآن الــكــريــم، روايــة حــفــص.

– أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، **صـحـيـح الـبـخـاري**، ط1،دار إبن كثير للنشر، بيروت لبنان، 2002م.

قـائـمـة الـمـصـادر:

1– إبن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م)، الـكامل في الـتاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، ج6،ج8،ج9، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان،1987م.

2– إبن أبي زرع، علي بن عبد الله (كان حيا سنة726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،(دط)، دار المنصور للطباعة ،الرباط، المغرب، 1972م.

3– الإدريسي، أبي عبد الله بن محمد بن إدريس (ت 560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق تحقيق روبانـتشي و آخرون،(دط)، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر،2000 م.

4– الإشبيلي، أبو زكريا يحي بن العوام (ت بعد580هـ/1184م)،كـتـاب الـفلاحـة، ج1،(دط) الترجمة الإسبانية، مدريد، 1802م.

5– الإصطخري، أبو إسحاق بن محمد الكرخي (ت بعد340هـ/951م)، المسـالك و الـممـالك (دط)، مطبعة بريل للنشر، ليدن،1870م.

6– الأصفهاني، أحمد بن محمد المرزوقي (ت ق5هـ/11م)،كتاب الأزمنة و الأمكنة،ج2، ط1، (دط) مطبة مجلس دائرة المعارف، الهند،1966م.

7– الأنـدلسي، يحي بن عمر(ت ق3هـ/9م)، أحـكام الـسـوق، تحـقيق محـمود علـي مكي، (دط) مـعهد الـدراسات الإسلامية للنشر، مدريد،1956م.

8– إبن بسام، محمد بن أحمد المحتسب (ت ق8/ 14م)، نهاية الرتـبـة في طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن إسماعيل و آخرون، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان،2003م.

9- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م)، المسالك و الممالك، تحقيق جمال طلبة ج2، ط1، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان،2003م.

10- البيذق، أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت ق12/6م)، أخبار المهدي إبن تومرت، (دط)، المنصور للطباعة والنشر، الرباط، المغرب،1971م.

11- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ق8 /14م)، رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (دط)، دار العربية للكتاب و النشر، تونس، 1989م.

12- الثعالبي، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف(ت875هـ/1470م)، رحلة عبد الرحمان الثعالبي، تحقيق محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم للنشر، بيروت، لبنان،2005م.

13- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت627هـ/1229م)، معجم البلدان، مجلد1،2،3،4،5، (دط) دار صادر للنشر، بيروت، لبنان،1977م

14- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900/1494م)، الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1975م.

15- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، (دط)، دار مكتبة الحياة للنشر بيروت، لبنان،1992م.

16- إبن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت 280هـ/912م)،المسالك و الممالك، (دط)، مطبعة بريل، ليدن 1889م.

* إبن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م)

17- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تحقيق سهيل زكار،ج6،ج7، (دط)، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان،2000م.

18- مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط2، دار الفجر للتراث،القاهرة، مصر،2010م.

19- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت681هـ/1282م)،وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، مجلد 2،3،5،7،(دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (د ت).

20– الدمشقي، أبو الفضل بن علي (ت ق6هـ/12م)، الإشارة إلى محاسن التجارة، مخطوط حققه محمد عبد المجيد الدوماني، قسم المخطوطات، جامعة الرياض، السعودية،1977م.

21– الزركلي، خير الدين (ت 1396هـ/1976م)، الأعلام ،ج2-4-6-8، ط15، دار العلم للملايين بيروت، لبنان،2002م.

22– الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت ق 12/6م)،كتاب الجعرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق محمد حاج صادق،(دط)، مكتبة الثقافة الدينية للنشر،القاهرة مصر،(دت)

23– السبتي، أبو العباس أحمد العزفي (ت633هـ/1236م)، حقيقة الدينار و الدرهم و الصاع و المد تحقيق محمد الشريف،(دط)، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات،1990م.

24– إبن سعيد، أبو الحسن علي (ت685هـ/1268م)،كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1 المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،1970م.

25– الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط و تزكي مصطفى، ج19-22-29، ط1، دار إحياء التراث للنشر، بيروت، لبنان،2000م.

26– الظاهري، عبد الباسط (871هـ/1467م)، رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس مخطوط حققه عمر عبد السلام التدمري، الجامعة اللبنانية، طرابلس،(د ت).

27– العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت700هـ/1300م)، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007م.

28– العمري، شهاب الدين ابن فضل الله (ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم،ج4، ط1، دار الكتب العالمية للنشر، بيروت، لبنان 2010 م.

29– العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد (ت1090هـ/1679م)، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي و سليمان القرشي،ج1، ط1،دار السويدي للنشر ،أبو ظبي، الإمارات،2006م.

30– أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت732هـ/1331م)، تـقـويـم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين ديسلان، (دط)، دار الطباعة السلطانية للنشر، باريس، فرنسا،1840م.

31– إبن الفقيه، أبي بكر محمد (ت بعد290هـ/902م)، مختصر كتاب البلدان،(دط)، مطبعة بريل ليـدن، 1885م

32– القاضي النعمان، (ت363هـ/973م)، إفـتـتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للنشر و التوزيع، تونس،1988م.

33– القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)،آثار البلاد و أخبار العباد، (دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان،(د ت).

34– القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت821هـ/1418م)، صـبح الأعـشى في صـناعة الإنـشا،ج5 (دط)، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر،1915م.

35– إبن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م)، الـبـدايـة و النهاية، تحقيق عبد المحسن تركي،ج15–ج16، ط1،دار هجر للطباعة و النشر، الرياض،1998م.

36– كربخال مارمول، (ت977هـ/1570م)، إفـريـقـيا، ترجمة محمد حاجي و آخرون،ج2، (دط) دار المعرفة للنشر ، الرباط، المغرب،1988م.

37– مجهول، (ت ق6هـ/12م)، الإستـبصار في عجائب الأمـصار "وصف مكـة والمـدينة ومـصـر وبلاد المغرب"، نشر وتعليق سعد زغلول،(دط)، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر، بغداد، العراق (د ت).

38– مجهول، (ت372هـ/982م)، حـدود الـعالم من المـشـرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي ط1 الدار الثقافية للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 1999م.

39– المراكشي، ابن عذارى (كان حيا سنة 732هـ/1332م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان و ليفي بروفنسال،ج1، ط3، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان،1983م.

40– المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين (ت610هـ/1213م)، المغرب في تـرتيب المـعرب، تحقيق محـمود فاخوري و آخرون،ج1، ط1، مكتبة أسامة بن زيد للنشر، حلب، سورية،1979م.

41– المعافري، أبو بكر محمد بن عبد الله (543هـ/1148م)، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، تحقيق سعيد أعراب، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان،1987م.

42– المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت378هـ/988م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة ، مصر،1991م.

43– المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1442م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء تحقيق جمال الدين الشبال، ج1، ط2، مطابع الأهرام للنشر، القاهرة،مصر،1996م.

44– إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، مجلد 10،9،8،7،5،4،3،2،(دط)، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، (د ت).

45– الهروي، أبو الحسن على بن أبي بكر(ت611هـ/1214م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر،2002م.

46– الوازن، الحسن (ت959هـ/1552م)، وصف إفريقيا،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر بيروت، لبنان،1983م.

47– اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت284هـ/897م)، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان،(د ت).

قائمة المراجع:

1- بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،1993م.

2– بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977م.

3– بوسماحة عبد الحميد، رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية الإجتماعية والإقتصادية،ج1، (دط) دار السبيل للنشر، بن عكنون، الجزائر،2008م.

4- بولقطيب الحسين، جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين، ط4، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2002م.

5- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال (ق3-4هـ/9-10م)، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون، الجزائر،(د ت).

6- حسن خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1، مكتبة مدبولي للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر،1996م.

7- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، (دط)، دار المعرفة الجامعية للنشر، الإسكندرية، مصر،1997م.

8- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، ط1، موسوعة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996م.

9- الدفاع علي عبد الله، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية،ط2، مكتبة التوبة للنشر السعودية، 1993م.

* شوقي أحمد دنيا

10- ابن خلدون مؤسس علم الاقتصاد،(دط)، دار معاذ للنشر والتوزيع، جامعة أم القرى، السعودية 1993م.

11- نظرات إقتصادية في القرآن الكريم، ط1، المعهد الإسلامي للبحوث، جدة، السعودية، 2007م.

12- الصلابي علي بن محمد، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، ط3، دار المعرفة للنشر، بيروت لبنان،2009م.

13- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 2010م.

14- طويل الطاهر، المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط، ط1، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية للنشر، تلمسان، الجزائر،2011م.

15– عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، (دط)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر،1991م.

16– العربي إسماعيل، دولة بني حماد، (دط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980م.

17– عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن (6هـ/12م) ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع القاهرة، مصر،1983م.

18– عمارة محمد، قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1993م.

19– عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2،دار الصحوة للنشر القاهرة، مصر،1991م.

20– بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، (دط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

21– مرعى إبتسام خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي،(دط)، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر،1985م.

22– الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج1،ج2، (دط)، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1964م.

23– نيقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب،(دط)،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،1987م.

المراجع المعربة:

1– برونشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1988م.

2– لومبار موريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1990م.

3– الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، لبنان، 1992م.

المراجع الأجنبية :

1- Lucien Golvin , Le maghreb central a l'epouque des zerides, recherches d'archéologie et d'histoire, paris, 1957.

2- Hady roger idris, La berbirie orientale sous les zirides X-X II siecles, paris 1962.

الرسائل الجامعية:

1– رشيد عبد العزيز، زراعة الحبوب بالمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين رسالة ماجستير، إشراف لطيفة بن عميرة، جامعة الجزائر2 ، 2012-2013م.

2– زيتوني خيرة، الآيات القرآنية على المسكوكات المغربية خلال (ق2-7هـ/8-13م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م.

المجلات:

1– بوكثير مسطالي، المنشآت المائية في إفريقية خلال العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، العدد 22 دار ناشري، الكويت،2013م.

2– عمارة علاوة، الحكم والاقتصاد والمجتمع في المغرب الحمادي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية العدد4، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2004م.

الـــفهارس

فهرس الأعلام :

-أ-

-أبو عبد الله الشيعي 12-36-58

-ح-

-حماد بن بلكين 40

-ع-

-عبد المؤمن بن علي 14-41-59

-عبيد الله المهدي 12

-علي بن يوسف 59

-م-

-المعز لدين الله 40

-المهدي بن تومرت 14-59

-ن-

-الناصر بن علناس 13-33-40

-ي-

-يحي بن عبد العزيز 59

-يوسف بن تاشفين 13-41

فهرس الأماكن

–أ–

أدغست 50

أرزاو 36-39

أرشقول 61-62-63

الإسكندرية 50

أشير 9-21-39-49-57

افريقية 8-10-17-51-54

الأندلس 14-52-54-55-56

–ب–

بادس 17-25

باغاية 21-24-48-49-57

بجاية 8-9-10-13-14-20-26-27-37-39-42-43-44-45-49-50-52-53-54-55-60-63

بحر المحيط 8

برشك 21-28-38

برقة 2-50

بسكرة 9-27-36-39-49-55

بلزمة 21-39

بنووازلفين 26-57

بونة 10-21-24-27-28-29-30-36-37-38-39-42-48-50-54-55-57-60-63

–ت–

تاكرارت 13-39

تامديت 24

تاهودة 17-23

تبسة 43

تلمسان 9-10-13-14-26-30-39-42-45-49-50-52-54-57-60-62

تمزكيدة 21

تنس 13-22-24-25-31-32-38-49-50-52-54-57-60-61-62

تونس 13

تيهرت 8-11-12-18-19-20-25-27-28-30-31-39-44-49-50-51-61-62

–ج–

جزائر بني مزغناي 9-13-14-18-21-22-24-26-27-28-38-49-52-54-57

جنوة 56

جيجل 10-28-36-53-54

-ح-

الحجاز 51

-خ-

الخضراء 17-25-26-49-57

-د-

دلس 19

دمشق 39

-ز-

الزاب 27-33-51

-س-

سجلماسة 31-50

سطيف 11-14-22-26-36-39-49-57-60

السودان 51-55 / السوس 8

سوق إبراهيم 53

سوق حمزة 49-58

-ش-

الشام 51

شرشال 19-21-24-25-27-28-39

شلف 11-20-49

-ص-

صقلية 8

الصين 53-56

-ط-

طبنة 27-33-42-49-51

طرابلس 50

طنجة 8-49

طولقة 26

-ع-

العراق 18-51

عنابة 33

-غ-

غانة 50-55

الغدير 16-20-26-28-30-49-57-62

-ف-

فاس 50

-ق-

القالة 33/ قرطبة 39

قسنطينة 9-10-17-23-24-28-29-30-33-48-51-57

القل 10-23-33

قلعة بني حماد 13-23-33-39-43-44-51-54-57-63

قلعة دلول39/ قلعة الديك 39

قلعة السكة 39/ القيروان 13-50-54

-م-

مازونة 17-28-57/ متوسة 37

متيجة 18-24

مجانة 36-37-45-48-57

المدية 19-27-49

مرسى الخرز 28-37-41-45-53-57-63

مرسى الدجاج 26-29-49-54-50

مستغانم 27-45

المسيلة 9-11-13-17-20-23-24-25-27-28-33-39-42-48-49-50-51-54-60-63

المشرق 8-51-55-56

مصر 8-20-50-53-55-56

المغرب 8-12-14-18-30-31-32-40-51-54-55-60

المغرب الأدنى 51

المغرب الأقصى 10-51-55

المغرب الأوسط 9-10-11-12-13-14-16-17-19-20-21-22-23-24-25-26-28-29-30-31-33-35-36-37-38-39-40-41-42-44-45-46-48-50-52-53-54-55-56-57-58-60-61-62-63

مغيلة 39/ مقرة 27-63

مليانة 10-14-18-20-22-23-49-60

ميلة 17-23-25-49-57-60

-ن-

ندرومة 18-60/ نقاوس 27-42-54

-هـ-

الهند 53-56/ هنين9-52

-و-

ورقلة 13-18-22-27-37-51-54

وهران 9-11-13-14-39-45-49-50-52-57

-ي-

اليمن 53

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة الشكر

مقدمة.....2-6

المبحث التمهيدي: لمحة تاريخية عن بلاد المغرب الأوسط.....7-14

أولا: جغرافية المغرب الأوسط.....8-10

ثانيا: العناصر السكانية والدول المتعاقبة على المنطقة.....10-14

المبحث الأول: الزراعة..... 15-33

أولا: العوامل المساعدة على النشاط الزراعي..... 16-23

ثانيا: المحاصيل الزراعية و الثروة الحيوانية..... 23-29

ثالثا: العوامل المؤثرة على الإنتاج الزراعي.....29-33

المبحث الثاني: الصناعة.....34-46

أولا: العوامل المساعدة على النشاط الصناعي..... 36-41

ثانيا: أهم الصناعات..... 41-46

المبحث الثالث: التجارة..... 47-63

أولا: الطرق و المراكز التجارية..... 48-53

ثانيا: المبادلات التجارية..... 53-56

ثالثا: الأسواق و النظم التجارية..... 56-63

الـخـاتمـة.....65-66

الملاحـق..... 68-73

قـائمـة المـصـادر و المراجـع..... 75-82

الـفـهـارس..... 84-89


تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ